جامعة الأزهر ــ فرع البنات
كلية الدراسات الإسلامية والعربية

صفات عباد الرحمن كما وردت فى سورتى المؤمنون والفرقان

د / مريم عبد الحميد محمد إبراهيم
أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة :

الحمد لله حمدًا يوافى نعمه، ويكافىء مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله، المنفـرد بالعظمة والجلال واستحقاق الكمال عالم الغيب والشهادة، الكبير المتعال، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله الهادى من الضلال وعلى آله خير آل وصحبه وعلى جميع من اتبعهم الذين حمدت صفاتهم وحسنت منهم الخلال.

وبعد..

فإن القرآن الكريم هـو مصدر هدايتنا وأساس نجاتنا قال تعـالى : ﴿ إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (١). وهو مصدر التشريع وأصـل العلـوم ومنبـع المعارف فلا شرف إلا وهو السبيل إليه، ولا خير فى الدنيا والآخرة إلا وهو الدال عليه، وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام أن خير أهل هذه الأمة هو الحـريص على تعلم القرآن الكريم وتعليمه للناس فقال ﷺ (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) (٢).

وقد اخترت بحثى بعنوان " صفات عباد الرحمن كما وردت فى سورتى المؤمنـون والفرقان " لإلقاء الضوء على صفات عبـاد الرحمن لبيـان أهمية هذه الصفات فى حياة كل مسلم يريـد أن يكون مـن المقربين لله تعـالى وأن ينال الجنـة مـن أوسع أبوابها، ولحاجة الناس إليها اليوم، فالأمة الإسلامية محتاجة لأن تعود إلى ما ميزها بها المولى عز وجل من صفات حميدة وأخلاقيات كاملة قال ﷺ " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) (٣) والآيات القرآنية محل البحث هى الآيات الكريمة من الآية رقم (١) إلى (١١)، والآيات (٥٧) إلى (٦٠) من سورة المؤمنون والآيات من رقم

---

(١) سورة الإسراء الآية ٩.

(٢) البخارى كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه جـ٣صـ٢٣٢.

(٣) مسند الإمام أحمد جـ١٤ صـ٥١٣ والحديث صحيح إسناده قوى مسند الإمام أحمد طبعـة مؤسـسة الرسالة تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسى وإبراهيم الزيبق، وأخرجه البيهقـى فـى السنن الكبرى بلفظ " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " كتاب الشهادات باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليهـا جـ١٠ صـ٥٦.

(٦٣) إلى (٧٦) من سورة الفرقان.

وتناول البحث صفات عباد الرحمن كما يلى :

١ ــ الصفة الأولى : الخشوع في الصلاة والمحافظة عليها وقيام الليل بالصلاة.

٢ ــ الصفة الثانية : اجتناب اللغو.

٣ ــ الصفة الثالثة : أداء الزكاة والتوسط فى الإنفاق والبعد عن البخل فلا إسراف ولا تقتير.

٤ ــ الصفة الرابعة : حفظ الفرج والتعفف عن الحرام.

٥ ــ الصفة الخامسة : أداء الأمانة ورعاية العهد وعدم شهادة الزور.

٦ ــ الصفة السادسة : الخوف من عذاب الله تعالى.

٧ ــ الصفة السابعة : عدم الشرك.

٨ ــ الصفة الثامنة : التواضع وعدم الكبر.

٩ ــ الصفة التاسعة : لا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق.

١٠ ــ الصفة العاشرة : الابتهال إلى الله تعالى بطلب الذرية الصالحة.

ثم ختمت البحث ببيان جزاء عباد الرحمن كما ورد فى سورتى المؤمنون والفرقان.

وأدعو الله عز وجل أن أكون قد وفقت فى بيان وعرض هذه الصفات الجليلة للمؤمنين، وأرجوه عز وجل أن يمن علىَّ بالعلم والفهم والصدق والإخلاص فى كل ما أقوم به وأن يرزقنى التقوى إنه على كل شىء قدير قال تعالى ﴿ **وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ (١).

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٢.

صفات عباد الرحمن كما وردت في سورتي "المؤمنون والفرقان"

أولاً : تقديم :

سورة المؤمنون هي السورة الثالثة والعشرون في ترتيب سُوَر القرآن وعدد آياتها ثماني عشرة ومائة آية، وهي مكية في قول الكثيرين وسميت سورة المؤمنون لافتتاحها بقوله تعالى : ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ وروي الإمام أحمد والحاكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كان إذا نزل على رسول الله ﷺ الوحي يسمع عند وجهه كدوي (١) النحل فلبثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال :" اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارضنا وارض عنا" ثم قال ﷺ : "أنزل على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ حتى ختم عشر آيات) (٢). وسورة الفرقان مكية كلها في قول الجمهور، وقال ابن عباس رضي الله عنه إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة وهي: ﴿ **وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾. وقال الضحاك: هي مدنية وفيها آيات مكية قوله: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ**﴾(٣) وسميت سورة الفرقان لافتتاحها بالثناء على الله عز وجل الذي نزل الفرقان، هذا الكتاب المجيد على رسوله محمد ﷺ، فهو النعمة العظمى الذي فرق الله به بين الحق والباطل، وجعله نذيرًا للعالمين) (٤).

الموضوعات الرئيسة في سورة "المؤمنون" :

١ ــ تضمنت السورة الحديث عن خصال المؤمنين المصدقين بالله تعالى

١) الدوي : صوت لا يفهم منه شيء، وهذا الصوت إما صوت الوحي أو ما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ من شدة تنفسه أو من ثقل الوحي وقد وصف الوحي بأنه كان مثل صلصة الجرس.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير تفسير سورة المؤمنون جـ٢صـ ٤٢٥، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعلق الذهبى على الحديث ــ سئل عبد الرزاق عن شيخه ذا فقال لا أظنه شيء.

(٣) تفسير القرطبي جـ١٣ صـ١.

(٤) التفسير المنير للزحيلي جـ١٩ صـ٥.

ورسوله،التي استحقوا بها ميراث الفردوس الأعلى في الجنان.

٢ ــ أبانت الأدلة على وجود الله تعالى، والقدرة الإلهية، والوحدانية، وخلق الإنسان مرورًا بأطواره المتعددة، وخلق السماوات السبع، وإنزال المطر من السماء، وذكر منافع الحيوان للإنسان.

٣ ــ بيان حقيقة الإيمان كما عرضها رسل الله صلوات الله عليهم.

٤ ــ وصف ما يلقاه الكافرون من العذاب والنكال يوم القيامة.

٥ ــ إنكار المشركين للبعث والجزاء، وحث للرسول ﷺ أن يدعهم وشركهم، وأن يدفع السيئة بالتي هي أحسن، وأن يستعيذ بالله من الشيطان فلا يغضب ولا يضيق صدره بما يقولون.

٦ ــ طلب الكفار العودة إلى الدنيا حين رؤية العذاب لعلهم إذا عادوا عملوا صالحًا.

٧ ــ وصف أهوال القيامة وما فيها من الشدائد، وما ينتظر الكفار من العذاب والمهانة والتوبيخ.

٨ ــ نفي الفلاح عن الكافرين بعد إثباته للمؤمنين في أول السورة، ثم بعد ذلك تختم الآيات بأمر للنبي ﷺ أن يتوجه إلى الله تعالى بطلب المغفرة والرحمة.

الموضوعات الرئيسة في سورة "الفرقان" :

هذه السورة من السور المكية، والتى نجد أهم موضوعاتها أصول العقيدة من التوحيد والنبوة والإيمان بالبعث.

١ ــ إثبات الوحدانية لله عز وجل وصدق القرآن، وصحة رسالة النبي ﷺ.

٢ ــ وقوع البعث والجزاء يوم القيامة لا محالة.

٣ ــ نعت على المشركين عبادة الأصنام والأوثان، ونسبة الولد لله عز وجل، وتكذيبهم بالبعث.

٤ ــ ذكرت قصص بعض الأنبياء السابقين،وتكذيب أقوامهم لهم، وما حل بهم من نكال ودمار وهلاك، كقوم نوح،وعاد، وثمود، وأصحاب الرس، وقوم لوط.

٥ ــ أوردت السورة أدلة على قدرة الله ووحدانيته، مما في الكون البديع من عجائب صنعه، وما في الأرض من آثار خلقه في الإنسان، والبحر، وخلق السماوات.

٦ ــ ثم ختمت السورة ببيان صفات عباد الرحمن المخلصين الموقنين، وما يتحلون به من أخلاق سامية، تجعلهم يستحقون بها إكرام الله تعالى وثوابه الجزيل في جنات النعيم) [١].

١ ــ الصفة الأولى الخشوع في الصلاة والمحافظة عليها وقيام الليل بالصلاة

قال تعالى : ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [٢]، ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [٣]، ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [٤].

البيـــان

بدأت سورة "المؤمنون" بذكر أول صفة للمؤمنين وهي الخشوع في الصلاة جاء فى سبب نزول الآية : أنه ﷺ كان يصلي رافعًا بصره إلى السماء فلما نزلت رمي ببصره نحو مسجده) [٥].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن سيرين: كان الصحابة يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فنزلت " [٦].

---

(١) تفسير الزحيلي جـ١٩ صـ٧.

(٢) سورة المؤمنون الآية ٢.

(٣) سورة المؤمنون الآية ٩.

(٤) سورة الفرقان الآية ٦٤.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك عن أبى هريرة رضى الله عنه كتاب التفسير تفسير سورة المؤمنون جـ٢صـ ٤٢٦، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، لخلاف فيه على محمد بن سرين فقد قيل عنه مرسلا وعلق الذهبى بقوله الصحيح مرسل، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ــ باب لا يجاوز بصره موضع سجوده وجاء فيه:روى ذلك عن أبى زيد سعيد ابن أوس عن ابن عوف عن ابن سرين عن أبى هريرة موصولاً والصحيح هو المرسل جـ٢صـ ٥٧٦، وذكره الواحدي أسباب النزول صـ ١٧٨.

(٦) تفسير ابن كثير جـ٥صـ ٤٥٦.

بعض أقوال الصحابة رضى الله عنهم فى معنى الخشوع :

جاء في معنى الخشوع :

١ ــ مخبتون أذلاء. قاله سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

٢ ــ قال الحسن، وقتادة : خائفون.

٣ ــ قال مقاتل : متواضعون.

٤ ــ قال مجاهد : هو غض البصر وخفض الصوت.

والخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والخشوع في القلب، والبدن، والبصر، والصوت قال تعالى : ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [١].

حديث السنة النبوية عن الخشوع فى الصلاة :

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن ركز ذهنه فيها واشتغل بها عما عداها، واستحضر فيها عظمة خالقه ومناجاته، فإذا جمع المصلي كل هذه الأشياء في صلاته كانت له راحة نفسية وقلبية، وتكون قرة عين له، كما قال ﷺ لبلال رضي الله عنه : (يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها) [٢]، وقال ﷺ : (حبب إليَّ من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وجعل قرة عيني في الصلاة)[٣] والخشوع في الصلاة واجب،لتحصيل الثواب المرجو عند الله عز وجل وأمارة الخشوع عدم النظر إلى ما حوله وعدم الالتفات يميناً وشمالاً واللعب في اللحي والنظر في الأصابع وتقليب الحصى وغير ذلك مما يكره فعله في الصلاة. روي عن النبيﷺ أنه رأى رجلاً يعبث في صلاته فقال ﷺ : " لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه" [٤] أي لسكنت

(١) سورة طه الآية ١٠٨.

(٢) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في صلاة العتمة جـ٤صـ ٢٩٦ وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الحاكم فى المستدرك عن أنس بن مالك رضى الله عنه كتاب النكاح حديث ٢٦٧٦ جـ٢صـ١٧٤ وقال حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبى، وأخرجه النسائى كتاب عشرة النساء باب حب النساء حديث ٨٨٣٦ جـ٨صـ١٤٩.

(٤) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى عن سعيد بن المسيب جـ٢صـ٢٨٥ وذكره السيوطي في الجامع الصغير جـ٢صـ ١٣٦ ورمز له بالضعف.

وخضعت.

وروي الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال النبيﷺ : " إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يحرك الحصى فإن الرحمة تواجهه) [١]. والخشوع في الصلاة واجب لتعقل وتدبر معاني آيات القرآن قال تعالى : ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [٢].

ووصف الله عز وجل صحابة رسول اللهﷺ في كتابه العزيز وأثر صلاتهم في وجوههم قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [٣]. والمسلم ليس له من صلاته إلا ما عقل منها وكان فيه حضور.

روي عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول إن العبد ليصلي الصلاة ما يكتب له منها إلا عشرها، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها) [٤].

الأحاديث الواردة فى الحث على الخشوع فى الصلاة :

والأحاديث الواردة عن رسول الله ﷺ في الحث على الخشوع في الصلاة كثيرة: أذكر منها :

١ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله دخل المسجد فدخل رجل ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد رسول الله ﷺ وقال : ارجع فصل فإنك لم تصل، فرجع الرجل فصلى كما كان صلى، ثم سلم عليه، فقال رسول الله ﷺ وعليك السلام "ثم قال: ارجع فصل فإنك لم تصل، حتى فعل ذلك ثلاث مرات، فقال الرجل :

(١) سنن الترمذي كتاب الصلاة باب ما جاء في كراهة مسح الحصى في الصلاة جـ٢صـ ٢٦٩، قال الترمذي حديث حسن.

(٢) سورة محمد ﷺ الآية ٢٤.

(٣) سورة الفتح الآية ٢٩.

(٤) مسند الإمام أحمد جـ٣١ صـ١٨٩، وسنن البيهقي حديث رقم ٣٥٢٧ جـ٢صـ ٢٨١ والحديث صحيح وإسناده حسن.

والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا، فعلمني قال ﷺ :إذا قمت إلى الصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئن راكعًا، ثم ارفع حتى تعتدل قائمًا، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدًا، ثم اجلس حتى تطمئن جالسًا ثم افعل ذلك في صلاتك كلها)[1]. وأمر النبي ﷺللرجل الذي لا يحسن الصلاة بأن يعيد صلاته يدل على وجوب الخشوع في الصلاة.

٢ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله : صلاته، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، فإن انتقص من فريضته شيء قال الرب : انظروا هل لعبدي من تطوع، فيكمل به ما انتقص من الفريضة،ثم يكون سائر أعماله على ذلك) [2].

٣ ــ عن أبى مسعود البدرى قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تجزى صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود) [3] جعل رسول الله ﷺ الاعتدال في الصلاة سببًا من أسباب قبول الصلاة. والمقصود بإقامة صلبه :الاعتدال في الركوع والطمأنينة عند الوقوف بين يدي الله عز وجل.

٤ ــ عن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته، قالوا : يا رسول الله كيف يسرق من صلاته ؟ قال

(١) سنن أبي داود كتاب الصلاة باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود جـ١صـ ٢٢٦، وأخرجه الترمذي كتاب الصلاة باب ما جاء في وصف الصلاة جـ٢صـ١٠٤،وقال الترمذي : حديث صحيح.

(٢) سنن الترمذي كتاب الصلاة باب أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة جـ٢صـ ٢٧٠،وقال حديث حسن غريب،وأخرجه النسائي كتاب الصلاة باب المحاسبة على الصلاة حديث ٤٦٥.

(٣) سنن أبى داود كتاب الصلاة باب صلاة من لا يقيم صلبه فى الركوع والسجود حديث ٨٥٥ جـ١صـ٢٢٦ والحديث صحيح إسناده صحيح رجاله ثقات، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه كتاب الصلاة باب ذكر الأخبار عن نفى جواز صلاة المرء إذا لم يقم أعضاءه فى ركوعه وسجوده حديث ١٨٨٩٢ جـ٥صـ٢١٧.

ﷺ لا يتم ركوعها ولا سجودها) [1] في الحديث تحذير لمن لا يحرص في صلاته على خشوعه فقد وصفه النبي ﷺ بأنه أسوأ الناس سرقة.

٥ ــ روي مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبيﷺ أنه قال : تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعًا، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً) [2] وفيه نهي من النبي ﷺ عن أداء الصلاة كنقر الغراب ووصف من يفعل ذلك بالمنافق، ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [3] فالآية الكريمة وصفتهم بالنفاق والرياء. ٦ ــ عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : مالي أراكم رافعي أيديكم كأنها أذناب خيل شُمُس، أسكنوا في الصلاة " [4]. ومعنى كأنها أذناب خيل شُمُس وهي التي لا تستقر بل تضطرب وتتحرك بأذنابها وأرجلها، والمراد بالرفع المنهي عنه هنا رفعهم أيديهم عند السلام مشيرين إلى السلام من الجانبين، وفيه الأمر بالسكون والخشوع في الصلاة)[5].

٧ ــ عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه كان رسول الله ﷺ يقول إذا ركع " اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وإذا سجد قال : اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين)[6].

(١) مسند الإمام أحمد جـ٥صـ ٣١٠ وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد جـ٢صـ١٢٠، مسند الإمام أحمد طبعة مؤسسة الرسالة تحقيق الشيخ شعيب الأرنؤوط، وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الصلاة حديث ٨٣٥ جـ١صـ٣٥٢ وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الذهبى : صحيح على شرطهما.

(٢) مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب التبكير بالعصر جـ١صـ ٤٣٤.

(٣) سورة النساء الآية ١٤٢.

(٤) مسلم كتاب الصلاة باب الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة باليد جـ١صـ ٣٢٢.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم جـ٤صـ ١٥٤.

(٦) مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه جـ١صـ ٥٣٤ حديث ٧٧١.

في الحديث الشريف تعليم من النبي ﷺ لأمته ماذا تقول في ركوعها وسجودها بما يزيد من خشوعها لله عز وجل، وجعل كيان الإنسان كله في صلاته للخالق عز وجل.

بعض أقوال الصحابة فى معنى الخشوع :

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : الخشوع هو: إخلاص المقال وإعظام المقام، واليقين التام، وجمع الاهتمام. قيل لجندب بن عبد الله : أوصنا، فكان من وصاياه، وإذا وقفتم بين يدي ربكم للصلاة فاجعلوا الجنة والنار بين أيديكم والميزان والصراط حولكم كأنكم تقولون : ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [1].

وذكر الإمام الغزالي في إحيائه كلامًا طيبًا عن كيفية صلاة الخاشعين وكيف تكون بدءاً من التأهب لها، والطهارة والدخول فيها : " إذا سمعت نداء المؤذن :فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة، وتشمر بظاهرك، وباطنك للإجابة، والمسارعة، فإن المسارعين إلى هذا النداء :هم الذين يُنادَون باللطف يوم العرض الأكبر، فأعرض قلبك على هذا النداء، فإن وجدته مملوءاً بالفرح، والاستبشار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى، والفوز يوم القضاء، وأما الطهارة فإذا أتيت بها في مكانك ثم في بشرتك، فلا تغفل عن لُبك الذي هو ذاتك، وهو قلبك، فاجتهد له تطهيرًا بالتوبة، والندم على ما فرطت، وتصميم العزم على الترك في المستقبل، فطهر بها باطنك، فإنه موضع نظر معبودك، وأما ستر العورة : فاعلم أن معناه : تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق، فإن ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك في عورات باطنك، وفضائح سرائرك التي لا يطلع عليها إلا ربك عز وجل، فأحضر تلك الفضائح ببالك، وطالب نفسك بسترها، وتحقق أنه لا يستر عن عين الله ساتر، وإنما يغفرها الندم والحياء، والخوف، فتستفيد بإحضارها في قلبك، وتقوم بين يدي الله عز وجل قيام العبد المسيء الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه.

(١) تفسير ابن كثير جـ٥صـ ٤٥٦.

وأما الاستقبال (استقبال القبلة) : فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك، فاعلم أنه كما لا يتوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها، فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه. وأما الاعتدال قائمًا : فإنما هو مثول بالشخص، والقلب بين يدي الله عز وجل، وليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقًا مطأطئًا، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيهًا على إلزام القلب التواضع، والتذلل، والتبري عن الكبر. وأما النية : فاعزم على إجابة الله عز وجل في امتثال أمره بالصلاة، وإتمامها، والكف عن نواقضها، ومفسدتها، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله تعالى رجاء لثوابه وخوفًا من عقابه، وطلبًا للقربة منه، وعظم في نفسك قدر مناجاته، وانظر من تناجي، وكيف تناجي، وبماذا تناجي. وأما التكبير، ودعاء الاستفتاح، وقراءة القرآن، والركوع والسجود : فينبغي فيها كلها التواضع لله تعالى، ومتبعًا سنة نبيه ﷺ وتجتهد في ترقيق قلبك، وتجديد خشوعك حتى آخر صلاتك. ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع، والخشوع، والضراعة، والابتهال، وصدق الرجاء بالإجابة، واقصد عند التسليم : السلام على الملائكة، واستشعر شكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لإتمام الطاعة)[1] ولأهمية الخشوع لله عز وجل في الصلاة قدم المولى عز وجل وصف المؤمنين بالخشوع في الصلاة على سائر الصفات.

المحافظة على الصلاة من صفات المؤمنين :

وهذه صفة أخرى من صفات المؤمنين متعلقة بالصلاة وهذه الصفة هي : المحافظة على الصلوات قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [2] فهم يحافظون على صلواتهم بأن يؤدوها في أوقاتها مع استكمال أركانها وشروطها ولا يؤخرونها ولا يضيعونها إهمالاً. وقد افتتح الله عز وجل ذكر صفات المؤمنين

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي جـ١صـ ١٦٥ ــ ١٦٨.
(٢) سورة المؤمنون الآية ٩.

بالصلاة واختتمها بالصلاة مما يدل على أهميتها في حياة المؤمن، فالصلاة : صلة بين العبد وخالقه فالذي يحافظ عليها موصول الصلة بالله عز وجل، ومن لا يحافظ عليها مقطوع الصلة بالله عز وجل.

و"المسلم المحافظ على صلاته في أوقاتها يكتسب وينال من صلاته سلامة القلب، وثبات المشاعر، فلا يتقلب إحساسه مع تقلب الأيام بين الخير والشر، بل يقابل الشدائد بقلب مطمئن" [1] قال تعالى : ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ [2].

بعض أقوال النبى ﷺ فى المحافظة على الصلاة :

والصلاة أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وهي آخر ما وصى به رسول الله ﷺ أمته، حيث كان آخر وصيته. روي عن أنس رضي الله عنه قال : كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت، الصلاة وما ملكت أيمانكم، الصلاة وما ملكت أيمانكم)[3]. وقال رسول الله ﷺ في بيان فضلها ما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ : أي العمل أحب إلى الله ؟ قال الصلاة على وقتها قلت ثم أي ؟ قال بر الوالدين. قلت ثم أي قال : الجهاد في سبيل الله)[4].

وروي عن سالم بن أبى الجعد عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (استقيموا ولن تحصوا واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على

(١) شخصية المسلم كما يصورها القرآن د/ مصطفى عبد الواحد صـ٨٥.
(٢) سورة المعارج الآية ١٩.
(٣) مسند الإمام أحمد جـ٩صـ ٢٠٩ حديث صحيح، رجاله ثقات ورجال الصحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك جـ١صـ ١٣٠ وصححه.
(٤) البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب فضل الصلاة لوقتها جـ١صـ١٤٠، ومسلم كتاب الإيمان باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال جـ١صـ ٦٣.

الوضوء إلا مؤمن)[1] أي : الزموا الاستقامة بالمحافظة على إيفاء الحقوق، ورعاية الحدود، والرضى بالقضاء، ولن تحصوا ثواب الاستقامة، ولا يحافظ ويداوم على أداء الصلاة إلا المؤمن بالله تعالى، المؤمن بما في كتابه، والمؤمن بسنة رسوله ﷺ ؛ "وأعاد تعالى ذكر الصلاة في آخر صفات المؤمنين لأن الخشوع والمحافظة متغايران غير متلازمين، فإن الخشوع صفة للمصلي في حال الأداء لصلاته، والمحافظة إنما تصح حال ما لم يؤدها بكمالها، بل المراد بالمحافظة التعمد لشروطها من وقت وطهارة وغيرهما والقيام على أركانها وإتمامها حتى يكون ذلك دأبه في كل وقت)[2].

قيام الليل من صفات المؤمنين :

صفة أخرى من صفات المؤمنين متعلقة بالصلاة أيضًا قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [3] وصف آخر لهؤلاء الخاشعين في صلاتهم المحافظين عليها فهم أيضًا يكونوا في لياليهم مصلين يقومون لربهم سجدًا وقيامًا وهو كقوله تعالى : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ [4]. قال الزجاج : كل من أدركه الليل فهو بات وإن لم ينم، وقالوا : من قرأ شيئًا من القرآن في صلاة وإن قل فقد بات ساجدًا وقائمًا. وقيل : ركعتين بعد المغرب وأربعًا بعد العشاء. وقال الحسن : يبيتون لله على أقدامهم وتجري دموعهم على خدودهم خوفًا من ربهم) [5]. قال ابن عباس رضي الله عنهما : من صلى ركعتين أو أكثر بعد العشاء فقد

(١) سنن ابن ماجه كتاب الطهارة باب المحافظة على الضوء الحديث ٢٧٧ ط صـ١٠١، مسند الإمام أحمد جـ٣٧ صـ٦٠،حديث صحيح وإسناد رجاله ثقات رجال الصحيح، وفى الزوائد : رجال إسناده ثقات، إلا فيه انقطاعًا بين سالم ابن أبى الجعد لم يسمع من ثوبان.
(٢) تفسير الفخر الرازي جـ٢٣ صـ٨١.
(٣) سورة الفرقان الآية ٦٤.
(٤) سورة السجدة الآية ١٦.
(٥) تفسير الفخر الرازي جـ٢٤ صـ ٤٨١.

بات لله ساجدًا) [1].

وفي معنى الآية الكريمة يقول سيد قطب " هؤلاء قوم مشغولون عن النوم المريح اللذيذ بما هو أروح منه وأمتع، مشغولون بالتوجه إلى ربهم،وتعليق أرواحهم وجوارحهم به، الناس نيام وهم قائمون ساجدون، يخلد الناس إلى الأرض وهم يتطلعون إلى عرش الرحمن ذي الجلال والإكرام) [2].

الصفة الثانية : الإعراض عن اللغو

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [3]، ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [4].

يبين المولى عز وجل في الآية الكريمة الصفة الثانية لعباد الرحمن المؤمنين وهي البعد عن اللغو : وهم الذين ينصرفون عن كل ما هو حرام أو مكروه أو مباح لا خير فيه، ولا حاجة للإنسان فيه،وذلك يشمل الكذب، والهزل، والسب، وكل ما لا يعود على الإنسان بفائدة قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [5] ورد في النص القرآني معاني كثيرة أذكر منها :

١ ــ اللغو : ما لا يعتد به لقلته أو لخروجه على غير جهة الاعتماد من فاعله وبمعنى الباطل قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ أي مروا بالباطل ويقال الغيت الشيء أي أبطلته. قال الشافعي اللغو في لسان العرب الكلام غير المعقود عليه)[6]. معرضون : من الإعراض وهو الصد أي عدم الإقبال على الشيء أو من العُرض : بضم العين، وهو الجانب لأن من يترك الشيء يوليه جانبه ولا يقبل

(١) تفسير القرطبي جـ١٣ صـ ٧٢.
(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب جـ٥صـ ٢٥٧٨.
(٣) سورة المؤمنون الآية ٣.
(٤) سورة الفرقان الآية ٧٢.
(٥) سورة الفرقان الآية ٧٢.
(٦) لسان العرب جـ٥صـ ٤٠٥٠.

عليه فيشمل الإعراض إعراض السمع عن اللغو) [1].

٢ ــ المراد باللغو : كل ما يجب أن يلغي ويترك، ومنهم من فسر اللغو بكل ما ليس بطاعة وهو ضعيف لأن المباحات لا تعد لغوًا فقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ ﴾أي بأهل اللغو.

٣ ــ قال الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل : إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا، ﴿ مَرُّوا كِرَامًا﴾ : أنهم يكرمون أنفسهم عن مثل حال اللغو وإكرامهم لها لا يكون إلا بالإعراض والإنكار وبترك المعاونة والمساعدة، ويدخل فيه الشرك واللغو في القرآن والخوض فيما لا ينبغي، وأصل الكلمة من قولهم : ناقة كريمة إذا كانت تُعرض عند الحلب تكرمًا، كأنها لا تبالي بما يحلب منها للغزارة، فاستعير ذلك للصفح عن الذنب، قال الليث : يقال تكرم فلان عما يشينه إذ تنزه وأكرم نفسه عنه [2] ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ [3].

وجاءت أحاديث النبي ﷺ تحث على هذه الصفة الحسنة وترغب فيها لما فيها من حُسن الخلق، وأنها صفة من صفات المؤمنين الذين امتدحهم المولى عز وجل وعدهم من عباد الرحمن المقربين من المولى عز وجل والأحاديث في هذا الباب كثيرة أذكر منها :

١ ــ عن بلال بن الحارث المزني قال رسول الله ﷺ : " إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيرضى الله بها عنه إلى يوم القيامة، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يسخط الله بها عليه إلى يوم يلقاه) [4].

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور جـ٩صـ ١١.
(٢) تفسير الفخر الرازي جـ٢٤ صـ ٤٨٦.
(٣) سورة القصص الآية ٥٥.
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الإيمان جـ١صـ ١٠٦، وقال حديث صحيح علق عليه الذهبي بقوله هذا صحيح.

٢ ــ عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت : يا رسول الله حدثني بأمر اعتصم به قال "قل" آمنت بالله ثم استقم. قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليّ فأخذ بلسان نفسه ثم قال : هذا)[١].

٣ ــ عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : أقبلنا مع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك فلما رأيته خليا. قلت : يا رسول الله أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة. قال : " بخ، لقد سألت عن عظيم، وهو يسير على من يسره الله عليه تقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدى الزكاة المفروضة، وتلقى الله لا تشرك به شيئًا أولا أدلك على رأس الأمر وعموده وذروة سنامه : الجهاد فى سبيل الله، أولا أدلك على أبواب الخير، الصوم جنة، والصدقة، وقيام العبد فى جوف الليل يكفر الخطايا، وتلا هذه الآية ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [٢] أولا أدلك على أملك ذلك كله، فأشار رسول الله ﷺ بيده إلى لسانه، قال قلت : يا رسول الله وإنا لنؤاخذ بما نتكلم به ؟ قال ﷺ " ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) [٣].

٤ ــ قال رسول الله ﷺ : (من يضمن ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة) [٤].

الأحاديث النبوية الشريفة السابقة كلها تدعو إلى الإعراض عن اللغو، وحفظ اللسان عما يجعله محل غضب الله عز وجل، وبين لنا النبي ﷺ أن اللغو في الكلام

(١) سنن الترمذي باب الزهد ــ باب ما جاء في حفظ اللسان جـ٤صـ٦٠٧، وقال الترمذي حديث حسن صحيح.

(٢) سورة السجدة الآية ١٦.

(٣) مسند الإمام أحمد جـ٣٦ صـ٣٤٥ حديث صحيح بطرقه وشواهده وهذا إسناد منقطع أبو وائل وهو شقيق بن سلمة لم يسمع من معاذ وعاصم بن أبى النجود صدوق حسن الحديث وباقى رجاله رجال الشيخين، وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير تفسير سورة المؤمنون جـ٢صـ ٤٤٨، وقال صحيح ووافقه الذهبي.

(٤) البخاري كتاب الرقاق باب حفظ اللسان جـ٤صـ ١٢٥.

يحاسب عليه الإنسان، خاصة إذا كان فيه تضيع لحق من حقوق الله عز وجل، أو ما فيه إيذاء للمسلمين، وبين لنا النبي ﷺ أن المؤمن عليه أن يعرض عن هذا اللغو ولهذا تأتى أحاديث النبي ﷺ لتؤكد ما ذكره المولى عز وجل في كتابه الكريم. وعلى المسلم أن يعرض عن اللغو، وإذا استطاع أن ينهي عنه فذلك أفضل فإن لم يستطيع وجب عليه مغادرة المجلس امتثالاً لقوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [١]. وروي عن عقبة بن عامر قال : قلت : يا رسول الله ما النجاة؟ قال : أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك،وابك على خطيئتك)[٢]. من أحاديث النبي ﷺ نعرف لماذا امتدح المولى عز وجل عباده المؤمنين بهذه الصفة الكريمة فهم عباد لا يشغلهم إلا منفعة الناس والحياة، يقول سيد قطب : "إن لقلب المؤمن ما يشغله عن اللغو، واللهو والهذر، له ما يشغله من ذكر الله، وتصور جلاله وتدبر آياته في الأنفس، والآفاق، وله ما يشغله من تكاليف العقيدة : تكاليفها في تطهير القلب، وتزكية النفس، وتنقية الضمير، وتكاليفها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والطاقة البشرية محدودة وهي إما أن تنفق في الذي يصلح الحياة وينميها ويرقيها، وإما أن تنفق في الهذر واللغو واللهو، والمؤمن مدفوع بحكم عقيدته إلى إنفاقها في البناء والتعمير والإصلاح، ولا ينفي هذا أن يروح المؤمن عن نفسه في الحين بعد الحين، ولكن هذا شيء آخر غير الهذر واللغو) [٣].

(١) سورة الأنعام الآية ٦٨.

(٢) سنن الترمذي أبواب الزهد باب ما جاء في حفظ اللسان جـ٤صـ٦٠٥، وقال الترمذي هذا حديث حسن.

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب جـ٤صـ ٤٢٥٤ ــ ٤٢٥٥ بتصرف.

الصفة الثالثة : أداء الزكاة والإنفاق بلا إسراف ولا تقتير

الصفة الثالثة من صفات عباد الرحمن هي حرصهم على أداء الزكاة، يخرجونها امتثالاً لأمر الله عز وجل، والزكاة فريضة من فرائض الإسلام الخمسة وهي ركن أساسي من أركان الإسلام، وهي تؤخذ تطهيرًا وتزكية للإنسان قال تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (١).

الأدلة على وجوب الزكاة من كتاب الله تعالى :

وأداء الزكاة واجب على كل مسلم ومسلمة وهذا الوجوب مأخوذ من كتاب الله عز وجل ومن سنة النبيﷺ ومن الإجماع، وأضاف صاحب البدائع أنها واجبة أيضًا من ناحية العقل. أما وجوبها من القرآن الكريم فالآيات كثيرة أذكر منها: قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾ (٢)، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (٣)، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (٤)، وقال تعالى : ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٥).

الأدلة من السنة النبوية الشريفة على وجوب الزكاة :

ووجوبها من السنة النبوية الشريفة : قال رسول الله ﷺ (بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان) (٦).

وأما الإجماع : فقد أجمعت الأمة على فرضية الزكاة على كل قادر.

وأما من ناحية المعقول : فهو من وجوه بينها صاحب البدائع الإمام الكاساني

(١) سورة التوبة الآية ١٠٣.
(٢) سورة البقرة الآية ٤٣.
(٣) سورة المائدة الآية ٥٥.
(٤) سورة النور الآية ٥٦.
(٥) سورة البقرة الآية ١١٠.
(٦) البخاري كتاب الإيمان باب دعاؤكم إيمانكم جـ١صـ ١١.

وهي :

أولاً : أن أداء الزكاة من باب إعانة الضعيف وإغاثة اللهيف وإقدار العاجز وتقويته على أداء ما افترض الله عز وجل عليه من التوحيد والعبادات، والوسيلة إلى أداء المفروض مفروض.

ثانيًا : أن الزكاة تطهر نفس المؤدي من أنجاس الذنوب وتزكي أخلاقه بخلق الجود والكرم وترك الشح والضنّ، إذ الأنفس مجبولة على الضن بالمال فتتعود السماحة وترتاض لأداء الأمانات وإيصال الحقوق إلى مستحقها.

وقد تضمن ذلك كله قوله تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (١).

ثالثًا : أن الله تعالى قد أنعم على الأغنياء وفضلهم بصنوف النعمة والأموال الفاضلة عن الحوائج الأصلية، وخصهم بها فيتنعمون ويستمتعون بلذيذ العيش، وشكر النعمة فرض عقلاً وشرعًا، وأداء الزكاة إلى الفقراء من باب شكر النعمة، فكان فرضًا) (٢). والزكاة يؤديها المؤمن ترويضًا للنفس على العطاء وتفاديًا للشح والبخل ومخالفة لأمر الشيطان الذي دائمًا ما يخوف المؤمن من المستقبل والفقر، ويرغب المؤمن في ترك المال الكثير لأولاده حتى لا يدعهم عالة على الناس، وقد حذر المولى عز وجل المؤمنين من هذه الوساوس الشيطانية، قال تعالى : ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣).

ما المراد بالزكاة ؟

المراد بالزكاة في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ يقول الأمام ابن كثير : " الأكثرون على أن المراد بالزكاة ها هنا: زكاة الأموال، ولكن هنا يطرح

(١) سورة التوبة الآية ١٠٣.
(٢) بدائع الصنائع للكاساني جـ٢صـ ٣٠.
(٣) سورة البقرة الآية ٢٦٨.

سؤال أن هذه الآية مكية، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة.

والجواب : أن الزكاة التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النصاب والمقادير الخاصة وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبًا بمكة قال تعالى : ﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (١) وهي مكية. وقيل يراد بالزكاة هنا : زكاة النفس بتطهيرها من دنس الشرك والمعاصي، قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (٢). وقيل المراد بالزكاة : مطلق الإنفاق في سبيل الله تعالى) (٣).

ورجح الإمام الرازي أن المراد بالزكاة هنا: الحق الواجب في الأموال خاصة"(٤).

الحكمة من فرض الزكاة :

يقول الشيخ الغزالي في الحكمة من فرض الزكاة على المسلم : " الزكاة المفروضة ليست ضريبة تؤخذ من الجيوب بل هي أولاً غرس لمشاعر الحنان والرأفة، وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة بين شتى الطبقات) (٥).

ويقول الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر في المعنى ذاته: "إنها الركن الثالث من أركان الإسلام يدفعها من تجب عليه لمستحقيها، ليحيى بها نفوسًا، ويشبع بها بطونًا،ويمسح بها دموعًا، ويزيل بها آلامًا، وينال بها ثوابًا وأجرًا من الله تعالى"(٦).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً من تميم أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني ذو مال كثير، وذو أهل ومال فأخبرني كيف أضع وكيف أنفق ؟

(١) سورة الأنعام الآية ١٤١.
(٢) سورة الشمس الآيات ٧ ــ ١٠.
(٣) تفسير ابن كثير جـ٥صـ ٤٥٧.
(٤) تفسير الفخر الرازي جـ٢٣ صـ ٨٠.
(٥) خلق المسلم للشيخ الغزالي صـ٦.
(٦) العبادة أحكام وأسرار جـ٣صـ ٢٦٨.

فقال ﷺ : تخرج الزكاة من مالك فإنها طهرة تطهرك، وتصل أقرباءك، وتعرف حق المسكين، والجار، والسائل) (١).

عرف الصالحون من عباد الرحمن أهمية الزكاة في حياتهم فأخرجوها طيبة بها نفسهم وكيف لا وهم يقرأون قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ (٢)، وقوله تعالى : ﴿ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٣). وأجر الزكاة يبدأ من عشرة أمثالها، فالحسنة بعشر إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله من أضعاف لا يكاد يحصيها العد، فالزكاة إذن رابطة بين الإنسان وربه، ورابطة رضوان من الله عز وجل، وأجر وثواب ونماء وبركة يعطيها الإنسان طيبة بها نفسه، منشرحًا بها صدره، غير منتظر شكرًا ولا حمدًا ولا معروفًا يسدي ولا خدمة تؤدى، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى * لا يَصْلاهَا إِلا الأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى * وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى* الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى* إِلا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (٤).

الإعتدال فى الإنفاق سمة من سمات عباد الرحمن :

صفة أخرى لعباد الرحمن مرتبطة بالإنفاق قال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٥) الآية الكريمة تصفهم بالاعتدال في الإنفاق مع عدم اتصافهم بالبخل.

وجاء في معنى النص القرآني أقوال منها : " هم الذين لم يجاوزوا الحد في

(١) مسند الإمام أحمد جـ١٩ صـ٣٨٦ والحديث رجاله ثقات رجال الشيخين، وأخرجه الحاكم جـ٢صـ٣٦٠ / ٣٦١ وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.
(٢) سورة سبأ آية ٣٩.
(٣) سورة البقرة آية ٢٦١.
(٤) سورة الليل الآيات ١٤ ــ ٢١.
(٥) سورة الفرقان الآية ٦٧.

الإنفاق ولم يضيقوا على أنفسهم وأهليهم بل كانوا في ذلك متوسطين وخير الأمور أوسطها.

قال الزمخشري: "وصفهم الله بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير، وبمثله أمر رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [1] وروي الإمام أحمد عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ :" من فقه الرجل رفقه في معيشته)[2].

وأخرج أيضًا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ما عال من اقتصد) [3].

وقال يزيد بن أبي حبيب : أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا لا يأكلون طعامًا للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبًا للجمال، ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم، ومن الثياب ما يستر عوراتهم ويكفهم من الحر والبرد. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كفى سرفًا أن لا يشتهي الرجل شيئًا إلا اشتراه فأكل) [4].

وفي معنى الآية ورد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه : هم المؤمنون لا يسرفون فينفقون في معصية الله، ولا يقترون فيمنعون حقوق الله تعالى) [5].

ومعنى (لم يسرفوا ولم يقتروا) السَّرَف في اللغة : ضد القصد، أو هو مجاوزة الحد، والإسراف في النفقة : ما كان لغير حاجة أو في غير طاعة الله، أو هو التبذير ومجاوزة القصد. وقيل : أكل ما لا يحل أكله، وقيل الإسراف: وضع الشيء في غير موضعه، أو هو ما أنفق في غير طاعة الله) [6]، وقال عبد الله بن عباس

(١) سورة الإسراء الآية ٢٩.
(٢) مسند الإمام أحمد جـ٥صـ١٩٤. في إسناده ضعف.
(٣) مسند الإمام أحمد جـ١صـ ٤٤٧، والطبراني حديث ١٠١١٨ جـ١٠ صـ١٣٣.
(٤) تفسير البغوي جـ١صـ ٤٥١.
(٥) تفسير الطبري جـ١٩ صـ٢٩٨.
(٦) تاج العروس جـ٦ صـ ١٣٧، ١٣٨.

رضي الله عنه ليس في الحلال إسراف وإنما السَّرَف في ارتكاب المعاصي. وقال سفيان الثوري الحلال لا يحتمل السرف) [1]. ومعنى ﴿ وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ معنى قتر: القتر والتقتير: الرُمقة من العيش. واقتر الرجل: افتقر، وقال الفراء في معنى ﴿ وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾: لم يُقتروا عما يجب عليهم من النفقة. وقَتَرَ على عياله: أي ضيق عليهم في النفقة، والإقتارُ: التضييق على الإنسان في الرزق ويقال: أقتر الله رزقه: أي ضيقه وقلله، والقَترُ: ضيق العيش) [2]. وصف المولى عز وجل عباده بأنهم لا يتصفون بصفة البخل، لأنهم يعلمون أن المولى عز وجل ذم هذه الصفة ولا يحب من عباده البخلاء.

تعريف البخل:

هو الإمساك حيث يجب البذل) [3]، والبخل ثلاثة أضرب: بخل الإنسان بماله، وبخله بمال غيره على غيره، وبخله على نفسه بمال غيره وهو أقبح الثلاثة) [4].

بعض الآيات الواردة في ذم البخل:

قال تعالى: ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..﴾ [5]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾[6]. وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ

(١) مغني المحتاج جـ١صـ ٣٩٣، والمجموع جـ٦صـ ٤٢.
(٢) لسان العرب جـ٥صـ ٣٥٢٥.
(٣) إحياء علوم الدين للغزالي جـ٣صـ ٢٧٤.
(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة للأصفهاني صـ ٤١٣.
(٥) سورة آل عمران الآية ١٨٠.
(٦) سورة النساء الآية ٣٧.

وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [1]. وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [2].

بعض الآحاديث الواردة فى ذم البخل:

وجاءت أحاديث النبي ﷺ لتؤكد على ما جاء في كتاب الله عز وجل من ذم البخيل:

١ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدًا) [3].

٢ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم إلى أن سفكوا دماءهم وقطعوا أرحامهم واستحلوا محارمهم) [4].

٣ ــ كان رسول الله ﷺ يتعوذ من البخل يقول: " اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل" [5].

٤ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقًا خلفًا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكًا تلفًا) [6].

مما سبق من الأحاديث النبوية الشريفة يتبين لنا أهمية الإتصاف بالكرم والإنفاق بالإعتدال وعدم السرف.

ويذكر سيد قطب أهمية الاتصاف بالصفة السابقة بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع

(١) سورة التوبة الآيتان ٣٤ ــ ٣٥.

(٢) سورة الليل الآية ٧.

(٣) أخرجه النسائي كتاب الجهاد باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله على قدميه حديث ٤٣١٨ جـ٣صـ١٠، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم٢٨٢ صـ١٠٨،وأخرجه أحمد جـ١٢صـ٤٥١ والحديث صحيح بطرقه وشواهده، وأخرجه الحاكم كتاب الجهاد جـ٢صـ٧٢، وقال : صحيح ولم يخرجاه، وقال الذهبى صحيح على شرط مسلم.

(٤) مسلم كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم حديث ٢٥٧٨ جـ٤صـ١٩٩٦.

(٥) البخاري كتاب الدعوات باب التعوذ من الفتن جـ٨صـ ٩٧.

(٦) مسلم كتاب الزكاة باب المنفق والممسك جـ٢صـ ٧٠٠.

"هذه سمة الإسلام التي يحققها في حياة الفرد والجماعات ويتجه إليها في التربية والتشريع، يقيم بناءه كله على التوازن والاعتدال،والمسلم مع اعتراف الإسلام بالملكية الفردية المقيدة ليس حرًا في إنفاق أمواله الخاصة كما يشاء ــ كما هو الحال في النظام الرأسمالي، وعند الأمم التي لا يحكم التشريع الإلهي حياتها في كل ميدان ــ إنما هو مقيد بالتوسط بين الأمرين: الإسراف والتقتير، فالإسراف مفسدة للنفس والمال والمجتمع، والتقتير مثله: حبس للمال عن انتفاع صاحبه، وانتفاع الجماعة من حوله، فالمال أداة اجتماعية لتحقيق خدمات اجتماعية، والإسراف والتقتير يحدثان اختلالا في المحيط الاجتماعي، والمجال الاقتصادي، وحبس الأموال يحدث أزمات، ومثله إطلاقها بغير حساب، ذلك فوق فساد القلوب والأخلاق، والإسلام وهو ينظم هذا الجانب من الحياة يبدأ به من نفس الفرد، فيجعل الإعتدال سمة من سمات الإيمان) [1].

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب جـ٥صـ ٢٥٧٨.

الصفة الرابعة: حفظ الفرج والتعفف عن الحرام

يبين المولى عز وجل صفة أخرى من صفات عباد الرحمن قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (١)،وقال تعالى في وصفهم أيضًا ما ورد في سورة الفرقان قوله تعالى: ﴿وَلا يَزْنُونَ﴾ (٢) هذه الصفة هي الصفة الرابعة من أوصافهم وهي: حفظ فروجهم من كشفها، ومن وطء غير الزوجة أو الجارية المملوكة بوجه شرعي، فالاستقامة والعفة والبعد عن الزنا، سمة من سمات عباد الرحمن المؤمنين بربهم وبكلامه عز وجل، فقد قرأوا وأيقنوا وسلموا بقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً ﴾ (٣).

يقول سيد قطب موضحًا خطورة الزنا وانتشاره في المجتمع الإسلامي " والجماعة التي تنطلق فيها الشهوات بغير حساب جماعة معرضة للخلل والفساد لأنه لا أمن فيها للبيت ولا حرمة فيها للأسرة، والبيت هو الوحدة الأولى في بناء الجماعة، إذ هو المحضن الذي تنشأ فيه الطفولة، ولابد له من الأمن والاستقرار والطهارة،والجماعة التي تنطلق فيها الشهوات بغير حساب جماعة قذرة هابطة في سلم البشرية، فالمقياس الذي لا يخطئ للارتقاء البشري، هو تحكم الإرادة الإنسانية وغلبتها، وتنظيم الدوافع الفطرية في صورة مثمرة نظيفة لا يخجل الأطفال معها من الطريقة التي جاءوا بها إلى هذا العالم لأنها طريقة نظيفة، فالطفل ليس كالحيوان لا يعرف من أين جاء أو كيف جاء) (٤).

والزواج الشرعي هو: النظام الإلهي الذي وضعه المولى عز وجل لعباده لقضاء الشهوة ولحفظ الأنساب، ويدخل مع الزواج الشرعي، ملك اليمين أيضًا،وكان

---

(١) سورة المؤمنون الآيات ٥ ــ ٧.
(٢) سورة الفرقان الآية ٦٨.
(٣) سورة الإسراء الآية ٣٢ ،
(٤) في ظلال القرآن جـ٤صـ ٢٤٥٥ بتصرف.

هذا في الماضي عن طريق الرق، وكان الرق يومئذ قائمًا. قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (١). واستدل العلماء بالآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (٢) على تحريم نكاح المتعة وهو الزواج المؤقت بمدة زمنية محدودة قصيرة أو طويلة ؛ لأن المرأة المستمتع بها ليست زوجة بالفعل بدليل أنهما لا يتوارثان بالإجماع، فلا تحل للرجل لكن يدرأ عنها الحد للشبهة) (٣). فمن طلب غير ذلك من الزوجات والإماء فأولئك هم المتجاوزون لحدود الله عز وجل.

بعض الأحاديث الواردة فى السنة النبوية الشريفة فى تحريم الربا:

من النصوص الحديثية الواردة عن النبي ﷺ في تحريم الزنا والتشديد على ذلك:

١ ــ أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " لا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن، و لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) (٤).

٢ ــ أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر) (٥) والعائل: هو الفقير.

٣ ــ عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " ما ظهر في قوم الزنا والربا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله عز وجل) (٦).

---

(١) سورة النور الآية ٣٢.
(٢) سورة المؤمنون الآيات ٥ ــ ٧.
(٣) تفسير أحكام القرآن لابن العربي جـ٣صـ ١٣١١.
(٤) البخاري كتاب المظالم باب النُّهْبَى بغير إذن صاحبه جـ٣صـ ١٣٦ حديث رقم ٢٤٧٥.
(٥) مسلم كتاب الإيمان باب بيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله جـ١صـ١٠٢ حديث ١٠٧.
(٦) مسند الإمام أحمد جـ٦صـ ٣٥٨ والحديث صحيح لغيره،وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب البيوع جـ٢صـ ٤٣ وصححه ووافقه الذهبي.

فالزاني محل سخط الله، وعقابه في الدنيا والآخرة، وقد حث رسول الله ﷺ المؤمن على العفة والبعد عن الزنا، وبشر من يفعل ذلك بأن له الجنة.

٤ ــ عن سهل بن سعد:قال رسول الله ﷺ "من يضمن لى ما بينَ لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة) [١].

٥ ــ عن أبي أمامة أن فتى شابًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه، فقال ﷺ أدنه، فدنا منه قريبًا، فقال: إجلس فجلس، فقال: أتحبه لأمك؟ قال لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك ؟ قال لا والله، وجعلني الله فداك، قال ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك قال لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك ؟ قال لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم. قال فوضع يده عليه وقال: " اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء) [٢].

الصفة الخامسة: أداء الأمانة ورعاية العهد والصدق فى القول

صفة أخرى من صفات عباد الرحمن يصفهم بها ربهم مدحًا لهم وبيانًا لمكانتهم عند خالقهم يقول المولى عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [٣] في الآية الكريمة ربط بين أداء الأمانة والمحافظة على العهد، فكل من يتصف بصفة أداء الأمانة لابد وأن يكون من صفاته الملازمة لهذه الصفة الحفظ على العهد.

والأمانة والعهد يشملان جميع ما أئتمن عليه الإنسان من ربه أو الناس

(١) البخاري كتاب الرقاق باب حفظ اللسان جـ٤صـ ١٢٥.
(٢) مسند الإمام أحمد جـ٣٦ صـ٥٤٥ إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح، وأخرجه الطبرانى فى الكبير حديث ٧٦٧٩ جـ٥صـ٣٥٦، ٣٥٧.
(٣) سورة المؤمنون الآية ٨.

كالتكاليف الشرعية والودائع وتنفيذ العقود قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [١] وأداء الأمانة خلق عظيم من أخلاق المسلمين، وهذه الصفة يحتاجها المجتمع الإسلامي لاستقامة أحواله، يحتاجها الحاكم في حكمه والبائع في بيعه والتاجر في تجارته وكل عامل في موقعه.

ولبيان أهمية هذه الصفة في حياة المؤمن وفي حياة المسلمين نتحدث عن أنواع الأمانة وما ورد في شأنها من آيات قرآنية وأحاديث نبوية.

أقسام الأمانة:

الأمانة نوعان: **النوع الأول:** الأمانة العامة: وهي أمانة التكاليف الشرعية أمرًا ونهيًا، وفعلاً وتركًا، وقولاً وعملاً، واعتقادًا، وفيها قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا﴾ [٢]. لقد عرضت أمانة التكاليف على السماوات والأرض والجبال فأبت وحملها الإنسان. فمن أعطاها حقها أصبح من عباد الرحمن المؤمنين ومن قصر فيها وخانها وصفه المولى عز وجل بأنه ﴿كَانَ ظَلُومًا جَهُولا﴾ ظلومًا لنفسه، جهولاً بانتقام ربه لمن عصاه وخان الأمانة، وجهولاً بقدر خالقه وحق مولاه، معرضًا نفسه لسوء عاقبة من عصى وخان.

النوع الثاني: أمانة الودائع وهذه الأمانة صفة من صفات المؤمن.

وفي تفسير المراد بأداء الأمانات ذكر الفخر الرازي: " إن معاملة الإنسان إما أن تكون مع ربه أو مع سائر العباد أو مع نفسه، ولابد من رعاية الأمانة في جميع هذه الأقسام الثلاثة، أما رعاية الأمانة مع الرب فهي فعل المأمورات وترك المنهيات، قال ابن مسعود رضي الله عنه: الأمانة في كل شيء لازمة، في الوضوء والجنابة والصلاة والزكاة والصوم، فاللسان أمانة لا

(١) سورة المائدة الآية ١.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٧٢.

يستعمله في الكذب والغيبة والكفر والفحش، وأمانة العين أن لا يستعملها في النظر إلى الحرام، وأمانة السمع أن لا يستعمله في سماع الملاهي والأكاذيب وكذا في جميع الأعضاء.

والقسم الثاني: وهو رعاية الأمانة مع سائر الخلق فيدخل فيها رد الودائع ويدخل فيها ترك التطفيف في الكيل والوزن، ويدخل فيها أن لا يفشى على الناس عيوبهم، ويدخل فيه عدل الأمراء مع رعيتهم، وعدل العلماء مع العوام بأن لا يحملوهم على التعصبات الباطلة، بل يرشدونهم إلى اعتقادات وأعمال تنفعهم في دنياهم وأخراهم، ويدخل فيه أمانة الزوجة للزوج.

القسم الثالث: وهو أمانة الإنسان مع نفسه فهو أن لا يختار لنفسه إلا ما هو الأنفع والأصلح له في الدين والدنيا، وأن لا يقدم بسبب الشهوة والغضب على ما يضره في الآخرة، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ يدخل فيه الكل) [1].

وقد أمر الله تعالى بأداء هذه الأمانة على أكمل وجه قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [2] ومن خان الأمانة فهو عاص لله عز وجل ولرسوله ﷺ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [3].

بعض الأحاديث النبوية الشريفة فى وجوب أداء الأمانة:

أمر رسول الله ﷺ بأداء الأمانة إلى أهلها.

١ ــ قال ﷺ: " أدِّ الأمانة إلى من أئتمنك ولا تخن من خانك) [4] ٢ ــ وحذر

(١) تفسير الفخر الرازي جـ١٠ صـ ١٣٨،١٣٩ بتصرف.
(٢) سورة النساء الآية ٥٨.
(٣) سورة الأنفال الآية ٢٧.
(٤) سنن أبي داود. كتاب البيوع ــ باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده جـ٣صـ ٢٩٠=

رسول الله من خيانة الأمانة ووصف صاحب هذا الفعل بالمنافق قال رسول الله: (آية المنافق ثلاث. إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان)[1]، وقال ﷺ: (لا إيمان لمن لا أمانة له) [2].

والأمانة كما قلنا من قبل تشمل جوانب كثيرة في حياة المسلم. فالإمام مؤتمن في إمامة الصلاة بأداء أركانها ورعاية سننها.

٣ ــ قال ﷺ: " الإمام ضامن فإن أحسن فله ولهم وإن أساء فعليه ولا عليهم)[3].

والزوج أمين على زوجته فلا يكلفها ما لا تطيق.

٤ ــ قال ﷺ: " إن أحق الشروط أن يوفى بها ما استحللتم به الفروج"[4].

والمشورة أمانة فكل من تطلب مشورته فهو مؤتمن على ما يشير به.

٥ ــ يقول النبي ﷺ:" المستشار مؤتمن" [5].

والتاجر في معاملاته التجارية أمين في معاملاته وعليه أن يكون صادقًا ، أمينًا فيما يعرضه ويتاجر به.

٦ ــ يقول النبي ﷺ: " التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء

=حديث ٣٥٣٤ صححه الألباني وأخرجه الترمذي كتاب أبواب البيوع باب ما جاء في النهي للمسلم أن يدفع إلى الذمي الخمر ببيعها له حديث ١٢٦٣ جـ٣صـ ٥٥٥، وقال الترمذي : حديث حسن غريب.
(١) البخاري كتاب الشهوات باب من أمر بانجاز العهد جـ٢صـ ١٠٩.
(٢) أخرجه المقدسى في الأحاديث المختارة جـ٧صـ٢٢٤ حديث ٢٦٦١، وقال إسناده حسن، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد جـ١صـ ٩٦ فهو حديث حسن نظرًا إلى كثرة طرقه.
(٣) سنن ابن ماجه كتاب الصلاة باب ما يجب على الإمام جـ١صـ ٣١٤ حديث ٩٨١ والحديث صححه الألباني وصححه الحاكم. انظر السلسة الصحيحة رقم (١٧٦٧).
(٤) سنن الترمذي كتاب النكاح باب ما جاء فى الشرط عند عقدة النكاح حديث ١١٢٧ جـ٣صـ٤٢٦، وقال الترمذي حديث حسن صحيح وصححه الألبانى.
(٥) سنن الترمذى. كتاب أبواب الأدب. باب المستشار مؤتمن حديث ٢٨٢٢ جـ٥صـ ١٢٥ وقال الترمذى حديث حسن.

والصالحين" [1].

ومن الأمانة أيضًا أمانة العامل في عمله وكل من شغل منصبًا هامًا في عمله فعليه أن يعطي عمله حقه من وقت، وإخلاص، ومن يقصر في عمله يكون خائنًا لهذا العمل المؤتمن عليه. وأحاديث النبي ﷺ تحذر كل من ولي أمرًا من أمور المسلمين أن يأخذ ما ليس من حقه حتى ولو كان إبرة الخيط.

٧ ــ قال النبي ﷺ: " من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطًا فما فوقه كان غُلُولًا يأتي به يوم القيامة " فقام إليه رجل أسود من الأنصار، فقال يا رسول الله اقْبَلْ عنِّي عَمَلَكَ قال: "ومَالَكَ ؟ قال: سمعتُك تقول كذا وكذا قال ﷺ: "وأنا أقوله الآن: من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره فما أُوتِيَ مِنهُ أَخَذَ وما نُهي عنه انتهى) [2].

وحذر النبيﷺ أمته أنه مع مرور الزمن وتعاقب الأجيال سترفع الأمانة من قلوبهم قال ﷺ:" عن حذيفة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ:أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة، ثم حدثنا عن رفع الأمانة قال ﷺ: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شيء، ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله ــ فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال: إن في نبي فلان رجلاً أمينًا، حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ما أعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان) [3].

(١) سنن الترمذي أبواب البيوع باب ما جاء في التجار وتسمية النبي ﷺ إياهم جـ٣ صـ ٥٠٧ حديث ١٢٠٩، وقال الترمذي حديث حسن.
(٢) مسلم كتاب الإمارة باب تحريم هدايا العمال حديث ١٨٣٣ جـ٣صـ١٤٦٥.
(٣) مسلم كتاب الإيمان باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب جـ١صـ ١٢٦.

معني بعض الكلمات الواردة في الحديث الشريف:

١ ــ الأمانة: قيل الظاهر أن المراد بها التكليف الذي كلف الله تعالى به عباده والعهد الذي أخذه عليهم، وقال صاحب التحرير: الأمانة في الحديث هي الأمانة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ﴾ وهي عين الإيمان، فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد، قام حينئذ بأداء التكاليف.

٢ ــ جذر قلوب الرجال: الجذر بفتح الجيم وكسرها لغتان.

٣ ــ الوكت: هو الأثر اليسير، وقيل: هو سواد يسير،وقيل: هو لون يحدث مخالف للون الذي كان قبله.

٤ ــ المجل: بإسكان الجيم وفتحها لغتان. ومعناها: هو التنفط الذي يصير في اليد من العمل بفأس أو نحوها ويصير كالقبة فيه ماء قليل.

٥ ــ فنفط: يقال نفطت يده نفطًا ونفيطًا إذا صار بين الجلد واللحم ماء.

٦ ــ ومنتبراً: أي مرتفعًا وأصل هذه اللفظة الارتفاع ومنه المنبر لارتفاعه الخطيب عليه.

ومعنى الحديث: أن الأمانة تزول عن القلوب شيئًا فشيئًا،فإذا زال أول جزء منها زال نورها وخلفته ظلمة كالوكت وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله،فإذا زال شيء آخر صار كالمجل وهو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة وهذه الظلمة فوق التي قبلها ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه: بجمر يدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها ثم يزوال الجمر ويبقى التنفط)[1].

الوفاء بالعهد سمة من سمات عباد الرحمن:

من الصفات الحميدة الكريمة في عباد الرحمن والمطالب بها كل مؤمن صفة الوفاء بالعهد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾ [2]، وقال تعالى:

(١) صحيح مسلم بشرح محمد فواد عبد الباقي جـ١صـ ١٢٦.
(٢) سورة المائدة الآية ١.

﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [1] وإخلاف الوعد ونقض العهد من الخيانة ووصف المولى عز وجل صاحبه بالمنافق الكذاب قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ* فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ* فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [2].

وفي آية أخرى يصف المولى عز وجل أن الذي يحافظ على عهده ويوفيه فهو ممن يحبه الله عز وجل قال تعالى في معرض إنكاره على اليهود غدرهم بالعهود: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ*بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [3].

وأعطى المولى عز وجل الموفيين بالعهود والذين لا ينقضون المواثيق أجرًا عظيمًا وجنات عدن جزاءً لهم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ* الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ*وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [4]. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ

(١) سورة الإسراء الآية ٣٤.
(٢) سورة التوبة الآيات ٧٥ ــ ٧٧.
(٣) سورة آل عمران الآيتان ٧٥ ــ ٧٦.
(٤) سورة الرعد الآيات ١٩ ــ ٢٤.

اللّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [1].

بعض الآحاديث الواردة فى السنة النبوية الشريفة فى حفظ العهد والتحذير من نقضه:

جاءت سنة النبي ﷺ لتؤكد ما جاء في كتاب الله عز جل من الأمر بحفظ العهد والتحذير من خيانة العهد ونقضه. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: " ألا من قتل نفسًا مُعَاهدًا له ذِمَّةُ اللهِ وذِمَّةُ رسُولِهِ فقد أَخفرَ [2] بذمةِ الله، فلا يُرَحْ رائحَةَ الجنةِ وإن ريحَهَا ليوجدُ من مسيرةِ سبعينَ خريفًا)[3]. وقال ﷺ:" ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة عدلاً [4] ولا صرفًا " [5]. ويصور لنا النبي ﷺ مشهد الخائن للأمانة وللعهد يوم القيامة وهو يحمل راية الغدر ليعلم الناس جميعًا ما كان منه في الدنيا. قال ﷺ:" إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواء[6] فقيل:هذه غدرة فلان بن فلان" [7]. ونكث العهد مع الله ونقض الميثاق مع الخالق من أكبر الكبائر وأعظم الآثام وصاحبه مغضوب عليه من خالقه وله العذاب الشديد يوم الحساب والمولى عز وجل خصمه يوم القيامة قال تعالى في الحديث القدسي: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر،

(١) سورة الفتح الآية ١٠.
(٢) أخفر : غدر ونقض العهد.
(٣) سنن الترمذي أبواب الديات باب ما جاء فيمن قتل نفسًا معاهدة جـ٤صـ ٢٠، وقال الترمذي حديث حسن صحيح.
(٤) عدلاً ولا صرفًا : قال الأصمعي : الصرف : التوبة والعدل الفدية، قال القاضي: وقيل المعنى: لا تقبل فريضته ولا نافلته قبول رضا وإن قبلت قبول جزاء صحيح مسلم بشرح محمد فؤاد عبد الباقي جـ٢صـ٩٩٤.
(٥) مسلم كتاب الحج باب فضل المدينة حديث ١٣٧٠ جـ٢صـ٩٩٤، صـ٩٩٩.
(٦) لواء : راية.
(٧) مسلم كتاب الجهاد باب تحريم الغدر جـ٣صـ ١٣٥٩.

ورجل باع حرًا فأكل ثمنه[1] ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره)[2].
هذا العقاب الشديد لمن عاهد باسم الله ثم أخلف وعده.

وكما أمر المولى عز وجل عباده في كتابه العزيز بالوفاء بالعهود والمواثيق مع الخلق أمرهم بالوفاء في الكيل والميزان وإعطاء الناس حقوقهم قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [3]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ [4].

ومن صور الوفاء: الوفاء لمن أحسن إلينا، واستمرار هذا الوفاء بعد موته، وأقرب الناس للوفاء لهما في حياتهما، وبعد موتهما الوالدان.

روي أن رسول الله ﷺ جاءه رجل من بنى سلمة فقال: يا رسول الله هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما من بعد موتهما ؟ قال: نعم الصلاة عليهما، والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما)[5].

ومن صور الوفاء كذلك: الوفاء للزوجة، ولقد ضرب لنا رسولنا الكريم المثل الأعلى للوفاء للزوجة وإن كانت ميتة، روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، لما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه عز وجل أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة،وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها، ويقول ﷺ أرسلوا بها

(١) أكل ثمنه : باع الحر على أنه عبد كرهًا وظلمًا.
(٢) البخاري كتاب البيوع باب أثم من باع حرًا حديث٢٢٢٧ جـ٣صـ٨٢.
(٣) سورة الأنعام الآية ١٥٢.
(٤) سورة الإسراء الآية ٣٥.
(٥) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في بر الوالدين حديث ٥١٤٢ جـ٤صـ ٣٣٦،وذكره ابن ماجه في سننه كتاب الأدب باب صل من كان أبوك يصل حديث ٣٦٦٤ جـ٢صـ ١٢٠٨، وأخرجه الحاكم في المستدرك كتاب البر والصلة حديث رقم ٧٢٦٠ جـ٤صـ١٧١ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبى : صحيح.

إلى أصدقاء خديجة، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: فأغضبته يومًا فقلت: خديجة فقال رسول الله ﷺ: "إني قد رزقت حبها.

ولم يتزوج النبيﷺ على خديجة حتى ماتت، واستأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله فعرف استئذان خديجة فارتاح لذلك فقال ﷺ: " اللهم هالة بنت خويلد) [1].

والأحاديث السابقة كلها مروية عن السيدة عائشة رضي الله عنها تبين لنا مدى حب الرسولﷺ للسيدة الحنونة الكريمة السيدة خديجة رضي الله عنها حتى إنه ﷺ ليهش ويسعد لمجيء أختها لتذكره بالسيدة خديجة رضى الله عنها يقال أن صوتها يشبه صوت السيدة خديجة رضي الله عنها وهذا كله دليل وفاء وعرفان بالجميل لما فعلته السيدة خديجة عليها رضوان الله وسلامه فاستحقت هذا الوفاء النادر الجميل منه ﷺ.

وكما أن الزوج مطالب بالوفاء لزوجته كذلك الزوجة مطالبة بالوفاء لزوجها، وطالبها النبيﷺ مع الوفاء لزوجها الشكر له وعدم الشكاية منه قال ﷺ: لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه)[2].

وأخرج البخاري رواية عن النبي ﷺ تمثل صورة من صور الوفاء بالعهد وقيمته. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إنه ذكر أن رجلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، قال: ائتني بشهداء أشهدهم قال:كفى بالله شهيدًا، قال: ائتني بكفيل، قال: كفى بالله كفيلاً. قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر، فقضي حاجته، ثم التمس مركبا يقدم

(١) مسلم كتاب الفضائل باب فضائل خديجة بنت خويلد رضي الله عنها الأحاديث من صـ ١٨٨٨ إلى صـ ١٨٨٩.
(٢) السنن الكبرى للنسائى كتاب عشرة النساء باب شكر المرأة لزوجها حديث ٩٠٨٦ جـ٨صـ٢٣٩ وأخرجه الحاكم كتاب النكاح حديث ٢٧٧١ جـ٢صـ٢٠٧ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبى : صحيح.

عليه لأجل الذي كان أجله، فلم يجد مركبًا فأخذ خشبة فنقرها[1] وأدخل فيها ألف دينار،وصحيفة معها إلى صاحبها ثم زجج[2] موضعها ثم أتى بها البحر، ثم قال: اللهم إنك قد علمت أني استلفت من فلان ألف دينار فسألني كفيلاً، قلت كفى بالله كفيلاً، فرضي بك وسألني شهيدًا فقلت: كفى بالله شهيدًا، فرض بك، وإني قد جهدت أن أجد مركبًا أبعث إليه بالذي له، فلم أجد مركبًا، وإني استودعتها، فرمي بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف ينظر وهو في ذلك يطلب مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبًا يجيء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا فلما كسرها، وجد المال والصحيفة، ثم قدم الرجل الذي كان تسلف منه فأتاه بألف دينار، وقال: والله ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك، فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت به في الخشبة فانصرف بألفك راشدًا) [3].

الوفاء بالعهد من سمات عباد الرحمن:

ومن الوفاء بالعهد: حفظ الأسرار وخاصة ما قد يكون بين الزوج وزوجته يقول النبي ﷺ:"إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة،الرجل يفضي إلى المرأة وتفضي إليه ثم ينشر سرها)[4]. وهذه السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها تحفظ سر أبيها ﷺ فيما أسره إليها ولم تخبر به إلا بعد وفاته ﷺ عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كن أزواج النبيﷺ عنده، فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله ﷺ، فلما رآها رحب بها، وقال مرحبًا بابنتي ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارَّها فبكت بكاء شديدًا، فلما رأى جزعها سارَّها الثانية فضحكت، فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسَّراء، ثم

(١) نقرها : ثقبها.

(٢) زجج موضعها : سوى موضع النقر وأصلحه.

(٣) البخاري كتاب الحوالات باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها حديث ٢٢٩١ جـ٣ صـ ٩٥.

(٤) مسلم كتاب النكاح باب تحريم إفشاء سر المرأة حديث ١٤٣٧ جـ٢صـ١٠٦٠.

أنت تبكين ؟ فلما قام رسول الله ﷺ سألتها، ما قال لك رسول الله ﷺ قالت: ما كنت لأفشي على رسول اللهﷺ سره، فلما توفى رسول الله ﷺ قلت: عزمت عليك بمالي عليك من الحق لما حدثتني ما قال لك رسول الله ﷺ ؟ فقالت: أما الآن فنعم، أما حين سارَّني في المرة الأولى، فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وإنه عارضه الآن مرتين، وإني لا أرى إلا الأجل قد أقترب فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك، قالت فبكيت بكائي الذي رأيت فلما رأى جزعي سارَّني الثانية فقال: يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة قالت فضحكت ضحكي الذي رأيت) [1].

الوفاء بالعهد مع غير المسلمين مطلب إسلامى:

أمرنا رسولنا الكريم بالوفاء بالعهد والمحافظة على إتمامه مع غير المسلم ولقد ضرب لنا النبي ﷺ المثل الأعلى في الوفاء بالعهد حتى مع المشركين الذين آذوه وكذبوه، فقبل أن يهاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة كانت لديه أشياء محفوظة عنده لبعض المشركين فطلب من سيدنا علي رضي الله عنه أن يرد الأمانات والودائع إلى أهلها بعد خروج النبي ﷺ. قال رسول الله ﷺ: " ألا من ظلم معاهدًا، أو تنقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة) [2].

قول الصدق وعدم شهادة الزور من صفات عباد الرحمن:

ومن صفات عباد الرحمن صفة أخرى ملازمة ومرتبطة بصفة الأمانة والوفاء بالعهد وهي صفة قول الصدق وعدم الكذب وعدم شهادة الزور قال تعالى في صفة عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [3] وجاء في معنى النص القرآني:"

(١) مسلم كتاب الفضائل باب فضائل فاطمة بنت رسول الله ﷺ حديث ٢٤٥٠ جـ٤صـ ١٩٠٤.

(٢) سنن أبى داود كتاب الإمارة باب فى تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات حديث رقم ٣٠٥٢ جـ٣صـ١٧٠ والحديث صححه الألبانى.

(٣) سورة الفرقان الآية ٧٢.

الزور يحتمل إقامة الشهادة الباطلة ويكون المعنى أنهم لا يشهدون الزور فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، ويحتمل حضور مواضع الكذب كقوله تعالى:﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ (١)، ويحتمل حضور كل موضع يجري فيه ما لا ينبغي ويدخل فيه أعياد المشركين ومجامع الفساق ؛ لأن من خالط أهل الشر ونظر إلى أفعالهم وحضر مجامعهم فقد شاركهم في تلك المعصية. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: مجالس الزور: التي يقولون فيها الزور على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ) (٢).

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويحلق رأسه، ويطوف به في السوق) (٣).

وشهادة الزور درجة من درجات الكذب، وعباد الرحمن وصفهم الله عز وجل بأنهم يتصفون بصفة الصدق، والصدق من الصفات الحميدة وهو من أسس بناء الدين وقد أمر المولى عز وجل عباده المؤمنين بان يكونوا دائمًا مع الصادقين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٥) والصدق يكون في كل شئون المسلم، يكون في قوله، وفي عمله، وفي حاله، ويظل الصدق ملازمًا للمؤمن طوال حياته حتى يكتب عند الله صديقًا. قال ﷺ:" عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا) (٦).

ومن يتصف بالصدق يمنحه المولى عز وجل الطمأنينة القلبية والهدوء مع

(١) سورة الأنعام الآية ٦٨.
(٢) تفسير الفخر الرازي جـ٤صـ ٤٨٥.
(٣) تفسير القرطبي جـ١٣ صـ٧٩.
(٤) سورة التوبة الآية ١١٩.
(٥) سورة الزمر الآية ٣٣.
(٦) مسلم كتاب البر والصلة باب قبح الكذب وحسن الصدق حديث ٢٦٠٧ جـ٤صـ ٢٠١٢.

نفسه ومع الآخرين قال ﷺ: " دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة) (١) والتاجر الصادق يبارك له الله في تجارته ويقبل عليه المشترون ويفضلونه على التاجر الكاذب المساوم الذي يبيع بأكثر من ذمة قال رسول الله ﷺ: " البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما)(٢).

والكذب صفة من صفات المنافقين ويظل صاحب هذه الصفة الذميمة يكذب حتى يكتب عند الله كذابًا قال ﷺ: " أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر) (٣)، وقال ﷺ: " وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا) (٤).

والكذب يستلزم الهلاك والوعيد ولو كان بطريقة المزاح والضحك أو فيما يعرف بين العامة بالكذب الأبيض وحذر منه رسول الله ﷺ، قال ﷺ: "ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به القوم فيكذب ويل له ويل له) (٥).

والصدق يتعلمه النشيء منذ الصغر فعلى الكبار أن يتخلقوا بهذا الخلق حتى يلتزمه الصغار عندما يكبرون ولقد نبه رسول الله ﷺ على هذا الأمر. فيما رواه أحد الصحابة، قال دعتني أمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعدٌ في بيتنا فقالت ها تعال أعطيك شيئًا فقال لها رسول الله ﷺ: " ما أردت أن تعطيه قالت أردت أن أعطيه

(١) سنن الترمذي كتاب أبواب صفة القيامة حديث ٢٥١٨ جـ٤صـ ٦٦٨ وقال الترمذي حديث صحيح وصححه الألباني.
(٢) مسلم كتاب البيوع باب الصدق في البيع حديث ١٥٣٢ جـ٣صـ١١٦٤.
(٣) مسلم كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق حديث ٥٨ جـ١صـ٧٨.
(٤) مسلم كتاب البر والصلة باب قبح الكذب وحسن الظن حديث ٢٦٠٧ جـ٤صـ ٢٠١٢.
(٥) سنن الترمذي أبواب الزهد باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس حديث ٢٣١٥ جـ٤صـ٥٧٧ وقال الترمذي حديث حسن وحسنة الألباني.

تمرًا فقال ﷺ إنك لو لم تعطه شيئًا كتبت عليك كذبه) [1].

فهذه الواقعة تبين لنا أن الكذب حتى ولو كان في الأمور البسيطة فهو كذب وعلى الإنسان أن يبتعد عن هذه الصغائر حتى لا يتعود على الكذب بعد ذلك في ما يعد من الكبائر.

بعض الأحاديث النبوية الشريفة الواردة فى النهى عن شهادة الزور:

من أشد وأعظم صور الكذب شهادة الزور. ١ــ قال رسول الله ﷺ لأصحابه: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا بلى يا رسول الله. قال: "الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس، فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور " فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت " [2].

والصدق يضمن لصاحبه الجنة كما وعد رسول الله ﷺ ٢ــ قال ﷺ: "اضمنوا لي ستًا أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا عاهدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم) [3]، وقال ﷺ مبشرًا الصادق أنه سيكون ممن يرد الحوض (الكوثر) ٣ــ قال ﷺ: "إنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منهم ولا يرد على الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعينهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد على الحوض) [4].

الصفة السادسة: يجمعون بين الخوف والرجاء من الله تعالى

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ *وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ

(١) سنن أبي داود كتاب الأدب باب في التشديد في الكذب حديث ٤٩٩١ جـ٤صـ ٢٩٨ والحديث حسنه الألباني.

(٢) البخاري كتاب الشهادات باب ما قيل في شهادة الزور حديث ٢٦٥٤ جـ٣صـ ١٧٢.

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه كتاب البر والإحسان باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جـ١صـ ٢٤٥.

(٤) أخرجه ابن حبان في صحيحه كتاب البر والإحسان باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جـ١صـ ٢٩٠.

يُؤْمِنُونَ *وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ *وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا *إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾[2].

يبين المولى عز وجل صفات عباده المؤمنين ومنها: " أنهم مع إيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله عز وجل خائفون منه وجلون منه. قال الحسن البصري: إن المؤمن جمع إحسانًا وشفقة، وإن الكافر جمع إساءة وأمنا.

ومعنى: ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي يؤمنون بآياته الكونية والشرعية، كقوله تعالى إخبارًا عن مريم عليها السلام: ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ ﴾ [3] أي أيقنت أن ما كان، إنما هو عن قدر الله وقضائه، وما شرعه الله إن كان أمرًا فهو مما يحبه ويرضاه، وإن كان نهيًا فهو مما يكرهه ويأباه، وإن كان خبرًا فهو حق)[4]، وقيل: المراد من الإشفاق أثره وهو الدوام في الطاعة فهم من خوفهم من عذاب ربهم دائمون في طاعته ويكون الجمع بين الخشية والإشفاق للتأكيد، والإشفاق يتضمن الخشية مع زيادة رقة وضعف) [5].

ذكر الطبري في المعنى:" الذين يخلصون لربهم عبادتهم فلا يجعلون له فيها لغيره شركًا لوثن ولا لصنم ولا يراءون بها أحدًا من خلقه ولكنهم يجعلون أعمالهم خالصه لوجهه، وإياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شيء سواه) [6].

وعباد الرحمن لا يدعون مع الله إلهًا آخر ولا يشركون في عبادتهم إياه، وحرم الله عز وجل الشرك بجميع صورة. روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ:أي الذنب أعظم قال: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك قال: ثم

(١) سورة المؤمنون الآية ٥٧ ــ ٦٠.

(٢) سورة الفرقان الآيتان ٦٥ / ٦٦.

(٣) سورة التحريم الآية ١٢.

(٤) تفسير ابن كثير جـ٥صـ ٤١٨.

(٥) تفسير الفخر جـ٢٣ صـ ٢٨٢.

(٦) تفسير الطبري جـ١٩ صـ ٤٤.

أي. قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قال ثم أي: قال أن تزاني حليلة جارك) [1] قال عبد الله: وأنزل الله تصديق ذلك:﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [2].

الرياء صورة من صور الشرك الخفي وحرص عباد الرحمن على سلامة قلوبهم من هذا المرض المبطل لجميع الأعمال، ووجب هنا إلقاء الضوء على تعريفه وما ورد فيه من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة تحذر منه وتقبح صاحبه.

تعريف الرياء:

هو إرادة المخلوقين بطاعة الله عز وجل [3].

وعرفه الإمام الغزالي: "هو طلب المنزلة في قلوب الناس بإرائهم خصال الخير)[4].

بعض الآيات الواردة فى ذم الرياء:

ورد في ذم الرياء والمرائين آيات كثيرة أذكر منها:

قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[7] والآيات الكريمة السابقة جاءت في ذم المرائى ووصف صلاته. يقول سيد قطب: "إنهم أولئك الذين يصلون ولكنهم لا يقيمون

(١) مسلم كتاب الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب حديث ١٤١ جـ١صـ ٩٠/ ٩١.
(٢) سورة الفرقان الآية ٦٨.
(٣) الرعاية لحقوق الله للمحاسبي صـ١٣٣.
(٤) الإحياء جـ٣صـ ٢٩٠.
(٥) سورة الفرقان الآية ٢٣.
(٦) سورة النساء الآية ١٤٢.
(٧) سورة الماعون الآيتان ٦، ٧.

الصلاة والذين يؤدون حركات الصلاة وينطقون بأدعيتها ولكن قلوبهم لا تعيش معها ولا تعيش بها أرواحهم، لا تستحضر حقيقة الصلاة، إنهم يصلون رياء للناس لا إخلاصًا لله)[1].

بعض الأحاديث الواردة فى ذم الرياء:

والأحاديث النبوية الشريفة الواردة في ذم الرياء كثيرة منها:

١ ــ يقول الله عز وجل: (من عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا منه برئ وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك) [2].

٢ ــ قال رسول الله ﷺ:" من أحسن الصلاة حيث يراه الناس واساءها حيث يخلو فتلك استهانة يستهين بها ربه عز وجل) [3]، وعن السيدة عائشة رضي الله عنها رواية يصف فيها النبي ﷺ الرياء بأنه "أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء)[4].

٤ــ قال رسول الله ﷺ: "تعوذوا بالله عز وجل من جُب الحُزنِ، وقيل وما هو يا رسول الله، قال: وادٍ في جهنم أعد للقراء المرائين)[5].

٥ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من تعلم علمًا مما يبتغي به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب عرضًا في الدنيا لم يجد عَرْفَ [6] الجنة يوم القيامة) [7].

(١) في ظلال القرآن جـ٦صـ ٣٩٨٥.
(٢) مسلم كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله حديث ٢٩٨ جـ٤صـ ٢٢٨٩.
(٣) سنن البيهقي كتاب الصلاة باب الترغيب في تحسين الصلاة جـ٢صـ ٢٩٠.
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير جـ٢صـ ٢٩١، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(٥) سنن الترمذي كتاب الزهد باب الرياء والسمعة حديث ٢٣٨٣ جـ٤صـ ٥٩٣ / ٥٩٤،وقال حديث حسن غريب.
(٦) عَرْف الجنة : يعنى ريحَهَا.
(٧) سنن ابن ماجه كتاب العلم باب الانتفاع بالعمل حديث رقم ٢٥٢جـ١صـ ٩٢/ ٩٣، وسنن أبي داود كتاب العلم باب في طلب العلم لغير الله حديث ٣٦٦٤ جـ٣صـ ٣٢٣ والحديث صححه الألباني.

٦ ــ قال ﷺ:" اليسير من الرياء شرك) [١].

٧ــ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول اللهﷺ: "ألا أخبركم بما هو أخوف عندي من المسيخ الدجال ؟ فقلنا: بلى يا رسول الله فقال: الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل) [٢].

٨ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل يقتل في سبيل الله ورجل كثير المال، فيقول الله عز وجل للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال بلى، يا رب قال فماذا عملت فيما عُلِّمت قال: كنت أقوم به أناء الليل وأناء النهار، قال الله تعالى: كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ وقد قيل ذاك ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار،ويقول الله عز وجل لصاحب المال: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال بلى يا رب قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق وأنفقت فيها لك قال الله عز وجل كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد وقد قيل ذلك ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار،ويقول الله عز وجل للشهيد: ألم أعرفك نعمتي فعرفتها،فقال:بلى، فقال له الله تعالى: فما عملت فيها. قال: أي رب أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت فيك حتى استشهدت، قال الله تعالى: كذبت ولكنك قاتلت حتى يقال جرى وقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار، ثم ضرب رسول الله ﷺ ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة)[٣].

وقد ورد في خطورة الرياء وأثره السيئ على الفرد والمجتمع قول الإمام

(١) المستدرك للحاكم كتاب الإيمان جـ١صـ٤ وقال حديث صحيح ولم يخرجاه.

(٢) سنن ابن ماجه كتاب الزهد باب الرياء والسمعة جـ٢ صـ١٤٠١، والحديث حسنه الألباني.

(٣) مسلم كتاب الإمارة باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار حديث ١٩٠٥ جـ٣ صـ ١٥١٥٣، ١٥١٤ بنحوه،واللفظ للترمذي كتاب الزهد باب ما جاء في الرياء والسمعة حديث ٢٣٨٢ جـ٤صـ٥٩١/٥٩٢. والحديث صحيح.

الغزالي:"إن الرياء من أفتك العلل بالأعمال، وهو إذا استكمل أطواره وأتم دورته في النفس كما تستكمل جراثيم الأوبئة أطوارها ودورتها، أصبح ضربًا من الوثنية التي تقذف بصاحبها في سواء الجحيم)[١]، وعن المعنى نفسه يقول الشيخ الغزالي: "والرذيلة السافرة تولد جريمة وتسير في المجتمع جريمة فهي منكرة ولعل صاحبها لشعوره بسوئها يتوب منها على عجل أو على مهل، أما الرذيلة التي تظهر في لباس من الطاعة المطلوبة فهي رذيلة مزهوبة الشر على صاحبها وعلى المجتمع،ذلك أن صاحبها يقترفها وهو يشبع نهم نفسه في الوقت الذي يتوهم فيه أنه يرضى الله تعالى، فكيف يحس أنه ارتكب إثمًا وكيف يتوب مما يفترض أنه خير)[٢].

أعراض مرض الرياء:

الرياء مرض من أمراض القلوب،يجب على كل مسلم أن يسلم قلبه من هذا المرض المحبط للعمل،وكأي مرض له أعراض أذكر بعض أعراض هذا المرض، ليحرص الإنسان على علاج هذه الأعراض حتى لا يتسرب إلى القلب ويتمكن منه، من أهم هذه الأعراض:

١ ــ فرح الإنسان وانشراح صدره لرؤية الناس لأعماله.

٢ ــ إغفاله للعبادات والطاعات إذ خلا بنفسه.

٣ ــ القيام بالطاعات على أحسن وجه إذا وجد مع آخرين.

٤ ــ حبه للاشتهار بين الناس طمعًا في منصب أو في مال أو قضاء حوائجه أينما ذهب.

٥ ــ محبة المدح وكراهة الذم.

٦ــ حرصه على مجالسة الصالحين والعلماء ليتوهم صلاحه وعلمه.

(١) الإحياء جـ٣صـ ٣٢٧.

(٢) خلق المسلم صـ ٦٩.

الإتيان بالطاعة والخوف من التقصير سمة من سمات عباد الرحمن:

ونعود بالحديث مرة أخرى إلى صفات عباد الرحمن فهم يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وهم خائفون ألا تقبل منهم نتيجة تقصير في أداء حقها أو خوفًا من أن يكون داخلها رياء فلم تكن خالصة لوجه الله فهم خائفون من التقصير في القيام بحقها وهذا من باب الحذر والقلق والاحتياط في أداء الطاعة، وبين المولى عز وجل أن خوفهم هذا كان لعلمهم أنهم إلى ربهم راجعون فسوف يحاسبهم على ما فعلوا، وعبر بـ﴿مَا آتَوا﴾ دون الصدقات أو الأموال ليعم كل أصناف العطاء المطلوب شرعًا وليعم القليل والكثير، فلعل بعض المؤمنين ليس له من المال ما تجب فيه الزكاة وهو يعطي مما يكسب)[1]. روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت يا رسول الله ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل قال: لا يا بنت الصديق ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل)[2].ويؤخذ من حديث رسول الله ﷺ أن الإيتاء لا يقتصر على العطاء للزكاة أو الصدقة وإنما يشمل كل حق يلزم إيتاؤه سواء كان ذلك من حقوق الله تعالى كالزكاة والصدقة والكفارة وجميع ما يتعلق بحقوق الله تعالى أو من حقوق الآدميين كالودائع والديون وغيرهما)[3].

وترتيب هذه الصفات في نهاية الحسن لأن الصفة الأولى دلت على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز عما لا ينبغي،والصفة الثانية دلت على أصل الإيمان والعمق فيه، والصفة الثالثة دلت على ترك الرياء في الطاعات، والصفة الرابعة دلت على الإتيان بالطاعات مع الخوف من التقصير وذلك نهاية مقامات

(١) تفسير التحرير والتنوير جـ٩صـ ٧٧.

(٢) سنن الترمذي كتاب التفسير تفسير سورة المؤمنون جـ٥صـ ٣٠٧ وأخرجه الحاكم كتاب التفسير تفسير سورة المؤمنون جـ٢صـ ٤٢٧،وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) تفسير الفخر الرازي جـ٢٣ صـ ٢٨٣.

الصديقين)[1].

ويصف لنا المولى عز وجل حال عباد الرحمن مع خالقهم وما يعتريهم من شعور الخوف والرجاء طوال حياتهم فهم يطيعون الله عز وجل ولكنهم خائفون وجلون من عذاب الله عز وجل يقول المولى عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾[2]. "يقول عبد الله بن عباس رضي الله عنه: "يقولون ذلك في سجودهم وقيامهم يقولون: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾.

أي لازمًا دائمًا غير مفارق. قال ابن زيد: الغرام الشر وقال أبو عبيدة: الهلاك وقيل إن عذاب جهنم كان غرامًا ملحًا دائمًا لازمًا غير مفارق، وقيل: إن عذابها كان غرامًا إشارة إلى كونه مضرة خالصة عن شوائب النفع والإقامة فيها دائمة) [3].

يقول سيد قطب في المعنى: "إنهم ما رأوا جهنم ولكنهم آمنوا بوجودها وتمثلوا صورتها مما جاءهم في القرآن الكريم وعلى لسان رسول الله الكريم فهذا الخوف النبيل إنما هو ثمرة الإيمان العميق وثمرة التصديق، وهم يتوجهون إلى ربهم في ضراعة وخشوع ليصرف عنهم عذاب جهنم، لا يطمئنهم أنهم يبتون لربهم سجدًا وقيامًا، فهم لِما يخالج قلوبهم من التقوى يستقلون عملهم وعبادتهم ولا يرون فيها ضمانًا ولا أمانًا من النار إن لم يتداركهم فضل الله وسماحته وعفوه ورحمته فيصرف عنهم عذاب جهنم)[4] ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[5] أي بئس المنزل منظرًا وبئس المقيل مقامًا والمعنى: ساءت جهنم منزلاً ومقامًا.

(١) التفسير المنير للزحيلي جـ١٨ صـ٦٥.

(٢) سورة الفرقان الآية ٦٥.

(٣)تفسير القرطبى جـ١٣صـ٧٢،والتفسير المنير للزحيلى جـ١٨صـ٦٥

(٤) تفسير سيد قطب جـ٥صـ٢٥٨٧.

(٥) سورة الفرقان آية ٦٦.

الصفة السابعة: التواضع وعدم الكبر والتسامح

قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ (١).

صفة أخرى من صفات عباد الله المؤمنين الذين يمشون على الأرض بسكينة ووقار، فهم أصحاب القلوب المملؤة بالتواضع، يمشون في غير تكبر،ولا تعالي على أحد امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا﴾ (٢) يقول الإمام ابن كثير: "هؤلاء يمشون من غير استكبار، ولا مرح، ولا أشر، ولا بطر، وليس المراد أنهم يمشون كالمرضى تصنعًا ورياء، فقد كان سيد ولد آدم ﷺ إذا مشى كأنما ينحط من صبب وكأنما الأرض تطوى له، وقد كره بعض السلف المشي بتضعف وتصنع، وإنما المراد بالهون هنا السكينة والوقار كما قال ﷺ: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا)(٣)، وروي عن الحسن البصري في معنى ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ ﴾ إن المؤمنين قوم ذُلُل، ذلت منهم والله الأسماع والأبصار والجوارح حتى تحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض، وإنهم والله أصحاء، ولكنهم دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، فقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، أما والله ما أحزنهم ما أحزن الناس، ولا تعاظم في نفوسهم شيء طلبوا به الجنة،ولكن أبكاهم الخوف النار)(٤)، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: يمشون بالطاعة والمعروف، والتواضع، وقال القشيري: لا يمشون لإفساد، ولا معصية بل في طاعة الله والأمور المباحة. وقيل لا يتكبرون على الناس)(٥).

وصفة الكبر إن لازمت الإنسان مقته الله عز وجل، ولذلك تحلى بعكسها عباد

(١) سورة الفرقان الآية ٦٣.
(٢) سورة الإسراء الآية ٣٧.
(٣) مسلم كتاب المساجد باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة حديث ٦٠٢ جـ١صـ ٤٢٠.
(٤) تفسير ابن كثير جـ٦صـ ١١٠.
(٥) تفسير القرطبي جـ١٣ صـ٦٨.

الله المؤمنون وخصهم المولى عز وجل بصيغة عباد الرحمن لما فيه من مدح لهم، والكبر مرض من أمراض القلوب المهلكة لصاحبها فلزم هنا البيان والشرح لتعريف الكبر وبيان ما ورد من آيات وأحاديث في ذمه، وبيان ما يطرأ على صاحبه من أعراض تظهر عليه نتيجة لهذا الكبر.

تعريف الكبر:

الكبر والتكبر والاستكبار كلها ألفاظ متقاربة، فالكبر:الحالة التي يختص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى نفسه أكبر من غيره وأعظم)(١)، وقال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى: المتكبر والكبير: أي العظيم ذو الكبرياء، وقيل التعالي عن صفات الخلق، والكبرياء: العظمة والملك) (٢).وعرفه النبى ﷺ فيما روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رجل للنبي ﷺ: " إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا فقال رسول الله ﷺ إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس) (٣).

بعض الآيات الواردة فى ذم الكبر:

ذم المولى عز وجل في كتابه العظيم كل متكبر متعاظم على خالقه وعلى خلقه قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (٥)، قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً* كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ ٤٢١.
(٢) لسان العرب جـ٥صـ ٣٨٠٧.
(٣) مسلم كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه حديث ٩١ جـ١صـ٩٣.
(٤) سورة غافر الآية ٦.
(٥) سورة النحل الآية ٢٣.
(٦) سورة الأعراف الآية ١٤٦.

مَكْرُوهًا﴾ [١]، قال تعالى: ﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [٢]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ [٣].

بعض الأحاديث النبوية الشريفة الواردة فى ذم الكبر والحث على التواضع:

الأحاديث الواردة في ذم الكبر كثيرة أذكر منها:

١ ــ قال ﷺ: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)[٤].

٢ ــ قال ﷺ: " لن يدخل الجنة أحدٌ بعمله، قيل حتى أنت يا رسول الله ؟ قال: حتى أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته) [٥].

يشير النبي ﷺ إلى أن الكبر قد يتسرب إلى القلب نتيجة الطاعة فبين ﷺ أنه لولا رحمة المولى عز وجل ما دخل أحد الجنة وفيه تحذير من عجب الإنسان لعمله فيورثه هذا الكبر.

٣ ــ وقال ﷺ: " إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم)[٦].

٤ ــ عن ثوبان رضى الله عنه قال: قال ﷺ: " من مات وهو برئ من الكبر والغلول والدين دخل الجنة) [٧] وكما حذر رسول الله ﷺ من الكبر حث على التحلي بالتواضع والتسامح بين المسلمين قال ﷺ: " إن الله أوحى إليَّ أن

(١) سورة الإسراء الآيتان ٣٧ / ٣٨.
(٢) سورة لقمان الآية ١٨.
(٣) سورة الأعراف الآية ٤٠.
(٤) مسلم كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه جـ١صـ ٩٣.
(٥) البخاري كتاب الطب باب تمني المريض الموت جـ٧ صـ١٥٧ ومسلم كتاب صفات المنافقين باب لن يدخل الجنة أحد بعمله بل برحمته جـ٤صـ ٢١٧١.
(٦) مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم واحتقاره وحديث ٣٤ جـ٤صـ ١٩٩٧.
(٧) الترمذي كتاب السير باب ما جاء في الغلول حديث رقم ١٥٧٢ جـ٤صـ ١٣٨، والحديث صححه الحاكم.

تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد) [١]. وقال رسول الله ﷺ: " ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) [٢]، وكان ﷺ يعود المريض ويشهد الجنازة)[٣].

أعراض الكبر:

للكبر أعراض تظهر على صاحبه منها:

١ــ الكفر بالله تعالى وتكذيب الرسل وإنكار الدين، ويعد هذا الأمر من أخطر وأوضح العلامات الدالة على تمكن الكبر في أبشع صورة من قلب الإنسان.

٢ ــ رفض قبول الحق وظلم الناس.

٣ ــ حب النفس والأنانية وعدم رؤية فضل الآخرين عليه.

٤ ــ التعالي والافتخار على الناس بالعلم والنظر إليهم بعين الاحتقار والازدراء.

٥ ــ التعالي على الناس بالعبادة وكثرة الطاعات والنظر بعين النقص إلى من دونه في العمل والعبادة وهذا الشخص هو الذي أشار إليه النبيﷺ في الحديث الشريف:" إذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم) [٤].

والتواضع علامة من علامات حب الله للعبد وصفة من صفات حزب الرحمن قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٥].

(١) مسلم كتاب الجنة ونعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا حديث ٢٨٦٥ جـ٤صـ ٢١٩٩.
(٢) مسلم كتاب البر والصلة باب استحباب العفو والتواضع حديث ٢٥٨٨ جـ٤صـ ٢٠٠١.
(٣) أخرجه الحاكم كتاب التفسير جـ٢صـ ٤٦٦،وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وأخرجه الترمذي كتاب الجنائز حديث ١٠١٧ جـ٣صـ ٣٢٨.
(٤) مسلم كتاب البر والصلة باب النهي عن قول هلك الناس حديث ٢٦٢٣ جـ٤صـ ٢٠٢٤.
(٥) سورة المائدة الآية ٥٤.

ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة في أخلاقه الكريمة ــ فلقد ضرب نبينا العظيم أفضل خلق الله وأعز خلق الله المثل الأعلى في التواضع.

بعض الأحاديث الواردة في تواضعه ﷺ:

١ ــ عن الأسود بن يزيد قال: سألت السيدة عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت كان يكون في مهنة أهله فإذا احضرت الصلاة قام إلى الصلاة) [١].

٢ ــ عن أنس رضي الله عنه كانت الأمة تأخذ بيده ﷺ فتنطلق به فى حاجتها حيث شاءت) [٢].

٣ــ عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبيﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن[٣] منه، فيسربهن[٤] إليّ فيلعبن معي) [٥].

٤ ــ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن كان النبيﷺ ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير ما فعل النغير[٦]) [٧].

٥ ــ عن أبي أوفى رضي الله عنه: "أنه ﷺ كان يكثر الذكر، ويُقل اللغو، ويطيل الصلاة، ويقصر الخطبة، وكان لا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين والعبد، حتى يقضي له حاجته)[٨].

٦ ــ وعن أبي رفاعة تميم بن أسيد رضي الله عنه قال: انتهيت إلى رسول

(١) البخاري كتاب الأدب باب كيف يكون الرجل في أهل حديث ٦٠٣٩ جـ٨صـ ١٤.
(٢) مسند الإمام أحمد جـ١٩صـ٩ حديث ١١٩٤١ إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٣) يتقمعن : يدخلن البيت ويستترن منه ﷺ ثم يذهبن.
(٤) فيسربهن إليّ : يرسلهن واحدة بعد الأخرى.
(٥) البخاري كتاب الأدب باب الانبساط إلى الناس جـ٨صـ ٣١.
(٦) النغير : هو طير كالعصفور محمر المنقار يسميه أهل المدينة البلبل.
(٧) البخاري كتاب الأدب باب الانبساط إلى الناس جـ٨صـ ٣٠.
(٨) سنن النسائي كتاب الجمعة باب ما يستحب من تقصير الخطبة حديث ١٤١٤ جـ٣صـ ١٠٨ والحديث صححه الألباني والحاكم.

الله ﷺ يخطب، فقلت: يا رسول الله، رجل غريب جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه ؟ فأقبل عليَّ رسول الله ﷺ وترك خطبته، حتى انتهى إليَّ، فأتى بكرسي حسبت قوائمه حديدًا، فقعد عليه ﷺ، وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته فأتم أخرها) [١] من الأحاديث السابقة يتبين لنا ما كان عليه ﷺ من تواضع مع أهل بيته، مع أصحابه، مع جميع الخلق، ولا غرابة في هذا فهو ﷺ الذي امتدحه ربه عز وجل بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

ومن صفات عباد الرحمن صفة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بصفة التواضع وهي صفة، التسامح والعفو مع الآخرين والعفو عمن أساء إليهم، يقول المولى عز وجل عنهم ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [٣] قال مجاهد: أي يقول للجاهل كلامًا يدفعه به برفق ولين وقيل: قالوا سلامًا إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيئ لم يقابلوهم عليه بمثله بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خير كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شده الجاهل عليه إلا حلمًا. روي جابر رضي الله عنه أنه ﷺ كان يقبض للناس يوم حنين من فضة في ثوب بلال فقال له رجل: يا رسول الله أعدل فقال له رسول الله ﷺ ويحك فمن يعدل إذا لم أعدل فقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل) [٤] وفي هذا اليوم أيضًا قسَّم رسول الله ﷺ قسمة فقال رجل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي ﷺ فاحمر وجهه ﷺ وقال: قد أوذي موسى بأكثر من ذلك فصبر) [٥].

ويوم خيبر جاءته يهودية بشاة مسمومة فجيء بها إليه فسألها عن ذلك فقالت: أردت قتلك فقال: ما كان الله ليسلطك على، قالوا: ألا نقتلها ؟ قال ﷺ لا) [٦].

(١) مسلم كتاب صلاة المسافرين باب حديث التعليم في الصلاة حديث ٨٧٦ جـ٢صـ ٥٩٧.
(٢) سورة القلم آية ٤.
(٣) سورة الفرقان الآية ٦٣.
(٤) أخرجه مسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم حديث ١٠٦٣ جـ٢صـ٧٤٠.
(٥) البخاري كتاب الأدب باب الصبر على الأذى حديث ٦١٠٠ جـ٨صـ٢٥.
(٦) مسلم كتاب الآداب باب السم حديث ٩٠/ ٢ جـ٤صـ ١٧٢١.

ويوم فتح مكة يوم رجع إلى قومه الذين آذوه وأخرجوه هو وأصحابه رجع إليها منتصرًا فقال لهم ﷺ:" ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم فقال ﷺ: لا أقول إلا كما قال يوسف عليه السلام: " لا تثريب عليكم اليوم) [١] إذهبوا فأنتم الطلقاء) [٢].

الصفة الثامنة: لا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق

قال تعالى: ﴿ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا بِالْحَقِّ ﴾[٣].

صفة أخرى من صفات عباد الرحمن وهي أنهم لا يقتلون النفس التي حرم الله عز وجل أيا كانت هذه النفس مؤمنة كانت أو معاهدة إلا بالحق الذي يوجب قتلها وهذه الصفة الراقية من صفات الإنسان الذي لا يتعدى على أخيه الإنسان،والمسلم فرد ينشر الأمن والآمان في المجتمع الإنساني ويحترم الحياة الإنسانية فالمجتمع الإنساني يقوم على احترام وطمأنة الآخرين من العدوان عليهم بدون ذنب فعلوه، ولهذا امتدح المولى عز وجل عباده بأنهم يحفظون حقوق الآخرين.

بعض الآيات الواردة فى النهى عن قتل النفس إلا بالحق:

قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [٤]، وقوله تعالى:﴿وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا﴾ [٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [٦].

بعض الأحاديث النبوية الشريفة الواردة فى النهى عن القتل إلا بالحق:

وكما وردت الآيات بتحريم قتل النفس إلا بالحق، جاءت أحاديث رسول الله ﷺ

(١) سورة يوسف الآية ٩٢.
(٢) سنن البيهقي كتاب السير باب فتح مكة حديث ١٨٢٧٦ جـ٩صـ١٩٩.
(٣) سورة الفرقان الآية ٦٨.
(٤) سورة الأنعام الآية ٥١.
(٥) سورة الإسراء الآية ٣١.
(٦) سورة التكوير الآيتان ٨، ٩.

تؤكد على ما جاء في كتاب الله تعالى، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال ﷺ:أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قلت ثم أي قال: أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك قلت ثم أي قال: أن تزاني بحليلة جارك)[١] وقال رسول الله ﷺ: " لا يحل دم أمرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة)[٢]. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم)[٣].

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن أول ما يقضي بين العباد في الدماء) [٤].

بعض الآحاديث الواردة فى النهى عن قتل غير المسلمين بغير حق:

ولم يقف النهي والزجر والوعيد عن قتل النفس المؤمنة بل جاءت أحاديث النبيﷺ لتنهي وتحذر من قتل المعاهد وهو المستأمن من أهل الحرب. روي البخاري عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبيﷺ: "من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا)[٥]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " من قتل نفسًا معاهدًا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر [٦] بذمة الله فلا يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين

(١) البخاري كتاب الأدب باب قتل الولد خشية أن يأكل معه جـ٨صـ ٨ حديث ٦٠٠١.
(٢) مسلم كتاب القسامة باب ما يباح به دم المسلم حديث ١٦٧٦ جـ٣صـ١٣٠٢.
(٣) سنن الترمذي كتاب الديات باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن حديث ١٣٩٥ جـ٤صـ ١٦،وقال الترمذي حديث صحيح.
(٤) سنن الترمذي كتاب الديات باب الحكم في الدماء حديث ١٣٩٧ جـ٤صـ ١٧،وقال الترمذي حديث حسن صحيح.
(٥) البخاري كتاب الجزية باب إثم من قتل معاهدًا بغير جرم حديث ٣١٦٩ جـ٤صـ ٩٩.
(٦) أخفر بذمة الله : أي لم يف بها.

خريفًا)[1]. فلا يحل قتل النفس مؤمنة كانت أو معاهدة إلا بالحق.

الصفة التاسعة الابتهال إلى الله عز وجل بطلب صلاح الزوج والذرية

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[2].

حب الإنسان للأولاد وللزوجة شريكة الحياة ولأن يأنس بإخوة وأقارب له في الحياة أمر فطري جبل على حبه أغلب البشر، وعباد الرحمن هم بشر يحبون ما يحبه الناس ويتمنون ما يتمناه الناس ولهذا لم يتحرجوا من أن يطلبوا من مولاهم وخالقهم أن يرزقهم الذرية الصالحة وشريكة الحياة الزوجة الصالحة التي تعين على طاعة الله عز وجل، فهم يطلبون ويدعون ربهم بالذرية والأهل ليتقربوا جميعًا إلى المولى عز وجل ويكونوا قدوة صالحة لمن حولهم.وفي المراد من طلبهم بأن يرزقهم المولى عز وجل أزواجًا وذرية أقوال منها: ما ذكره الإمام ابن كثير قال:" الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من ذريتهم من يطيعه ويعبده وحده ولا شريك له. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: يعنون من يعمل بطاعة الله فتقربه أعينهم في الدنيا والآخرة. وقال عكرمة لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالاً ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين. وسئل الحسن البصري عن هذه الآية فقال: أن يرى الله العبد المسلم من زوجته ومن أخيه ومن حميمه طاعة الله، لا والله لا شيء أقر لعين المسلم من أن يرى ولدًا أو ولد ولدٍ أو أخًا أو حميمًا مطيعًا لله عز وجل. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعني يسألون الله لأزواجهم وذرياتهم أن يهديهم للإسلام.

وقال الحسن والربيع بن أنس: أئمة يقتدي بنا في الخير)[3] وعباد الرحمن

(١) سنن الترمذي كتاب الديات باب ما جاء فيمن يقتل نفسًا معاهدة حديث ١٤٠٣ جـ٤صـ٢٠،وقال الترمذي حديث حسن صحيح وصححه الألباني.
(٢) سورة الفرقان الآية ٧٤.
(٣) تفسير ابن كثير جـ٦صـ ١١٩.

يطلبون الولد ويرجون الله عز وجل أن يكونوا من الصالحين لأنهم يعلمون أنهم إذا رحلوا عن الدنيا يتبقى لهم دعاء الولد الصالح يصلهم ويصل إليهم بالرحمة من الله عز وجل وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول "إذا مات الإنسان أنقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية،أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) [1].

وكان من دعاء سيدنا زكريا عليه السلام وهو يدعو الله أن يرزقه الولد ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [2]. وذكر الإمام القرطبي في معنى ﴿ قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ "وذلك أن الإنسان إذا بورك له في ماله وولده، قرت عينه بأهله وعياله حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها أمانيه من جمال وعفة ونظر، أو كانت عنده ذرية محافظون على الطاعة، معاونون له على وظائف الدين والدنيا، لم يلتفت إلى زوج أحد ولا إلى ولده فتسكن عينه عن الملاحظة ولا تمتد عينه إلى ما ترى فذلك قرة العين وسكون النفس [3] وذكر الإمام الفخر الرازي قولاً آخر في معنى﴿ قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾: المراد أن يكون قرة أعين لهم في الدين لا في الأمور الدنيوية من المال والجمال، ثم ذكروا فيه وجهين: أحدهما: أنهم سألوا أزواجًا وذرية في الدنيا يشاركونهم فأحبوا أن يكونوا معهم في التمسك بطاعة الله فيقوى طمعهم في أن يحصلوا معهم في الجنة فيتكامل سرورهم في الدنيا.

الثاني: أنهم سألوا أن يلحق الله أزواجهم وذريتهم بهم في الجنة ليتم سرورهم بهم) [4] وقولهم في دعائهم ﴿ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أي قدوة يقتدي بنا في الخير وهذا لا يكون إلا أن يكون الداعي متقيًا قدوة وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول في دعائه: اللهم اجعلنا من أئمة المتقين، وكان القشيري أبو القاسم شيخ الصوفية يقول: الإمام بالدعاء لا بالدعوى، يعني بتوفيق الله وتيسيره ومنته لا بما يدعيه كل

(١) مسلم كتاب الهبات باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته حديث ١٦٣١ جـ٣صـ ١٢٥٥.
(٢) سورة مريم الآية ٤.
(٣) تفسير القرطبي جـ١٣ صـ٨٩.
(٤) تفسير الفخر الرازي جـ٢٤ صـ ٤٨٦.

أحد لنفسه، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: اجعلنا أئمة هدى كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (١) وقال إبراهيم النخعي: لم يطلبوا الرياسة بل بأن يكونوا قدوة في الدين)(٢).

مما سبق في بيان الصفة التاسعة وهي الدعاء والابتهال والتضرع إلى الله تعالى بطلب الذرية الصالحة والزوجة الصالحة بقصد تقوى الله عز وجل وليكونوا جميعًا في طاعة الله وفي جنة الخلد بإذن الله تعالى يتبين لنا أهمية الدعاء في حياة المسلم ولذا وجب أن أشرح أهمية الدعاء في حياة كل مسلم وما ورد فيه من آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة وبيان شروط الدعاء وآدابه.

بعض الآيات الواردة فى الحث على الدعاء:

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (٣) معنى: عبادتي أي دعائي، وفي الآية بيان فضل الله تعالى وكرمه على عباده، يحثهم على دعائه عز وجل ويتكفل لهم بالإجابة. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ... ﴾ (٤)، وقال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ (٥)،وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ (٦). الآيات الواردة في الحث على الدعاء وعلى أهميته كثيرة وجميعها تبين لنا أن الدعاء في حياة المسلم يشمل كل حركة من حركات حياته، فالمسلم مطالب بأن يدعو ربه في السراء وفي الضراء وعند تعرضه للابتلاء من فقد عزيز أو مرض أو غيرهما مما يتعرض له المسلم في حياته ولا ينجيه منها إلا التوجه

(١) سورة السجدة الآية ٢٤.
(٢) تفسير القرطبي جـ١٣ صـ ٨٢.
(٣) سورة غافر الآية ٦٠.
(٤) سورة البقرة الآية ١٨٦.
(٥) سورة آل عمران الآية ٣٨.
(٦) سورة الإسراء الآية ٦٧.

والتضرع إلى الله عز وجل بالدعاء.

بعض الأحاديث الواردة فى الحث على الدعاء:

تأتي أحاديث النبي ﷺ لتؤكد على ما جاء في كتاب الله عز وجل ولتبين مواضع الدعاء وصيغ الدعاء والأوقات المستحبة للدعاء فيها فما جاء مجملاً في كتاب الله عز وجل تفصله وتوضحه سنة النبي ﷺ عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ "الدعاء هو العبادة)(١) جعل النبيﷺ الدعاء من العبادات.

وفي صحيح الترمذي عن النبي ﷺ: "من لم يسأل الله يغضب عليه" (٢) والعلة في ذلك أن تارك الدعاء لا يتركه إلا بسبب الكبر كما أخبرنا المولى عز وجل قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ وعن عبادتي أي عن دعائي. والمتأمل لما جاء في سنة النبي ﷺ يجد أن الدعاء في حياة المسلم كما قلت من قبل يشمل كل حركة من حركات حياته النوم له دعاء،والاستيقاظ له دعاء،ودخول الخلاء له دعاء،وإذا تعرض الإنسان لشدة أو ابتلاء سواء كان هذا الابتلاء بمرض أو فقد عزيز له دعاء يفرج عنه ما فيه، فالإنسان المسلم يحيط نفسه ويحصن نفسه دائمًا بالدعاء، وعباد الرحمن أيقنوا بهذه الحقيقة وهي أن الداعي لله عز وجل في معيته عز وجل، ومن كان في معية الله عز وجل لا يضام أبدًا،وقد تكفل المولى عز وجل لمن يدعوه بالاستجابة لدعائه.

شروط الدعاء:

الدعاء له شروط أذكرها حتى يكون دعاء الداعي مستجابًا بإذن الله تعالى:

١ ــ أن يدعو الله عز وجل وهو موقن بالإجابة قال ﷺ:"ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلبه غافل لاه)(٣).

(١) سنن الترمذي أبواب الدعوات باب ما جاء في فضل الدعاء حديث ٣٣٧٢، وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.
(٢) الترمذي أبواب الدعوات باب ما جاء في فضل الذكر حديث رقم ٣٣٧٣ جـ٥صـ ٤٥٦ والحديث حسنه الألباني.
(٣) سنن الترمذي أبواب الدعوات باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ حديث رقم ٣٤٧٩ جـ٥صـ ٥١٧.

٢ ــ أن يسأل الله وقلبه حاضر مستيقظ غير غافل الدليل عليه الحديث السابق.

٣ ــ ألا يستبطئ الإجابة ولا ييأس من الدعاء لقولهﷺ: " يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت فلم يستجيب لي) [١].

٤ ــ طيب الطعام والبعد عن المعاصي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [٣] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك)[٤].

٥ ــ ألا يدعو بما فيه إثم أو قطيعة رحم قال ﷺ:"ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله ما سال أو كف عنه من السوء مثله، ما لم يدعو بإثم أو قطيعة رحم) [٥].

آداب الدعاء:

آداب الدعاء كثيرة أذكر منها:

١ ــ افتتاحه بذكر الله والصلاة على النبي ﷺ، جاء على لسان سيدنا يونس عليه السلام ما حكاه القرآن قال تعالى: ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٦]، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني لأعلم كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج عنه، كلمة أخي يونس عليه السلام فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من

(١) مسلم كتاب الذكر والدعاء باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل جـ٤صـ ٢٠٩٥.
(٢) سورة المؤمنون الآية ٥١.
(٣) سورة البقرة الآية ١٧٢.
(٤) مسلم كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب جـ٢صـ٧٠٢.
(٥) سنن الترمذي أبواب الدعوات باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة جـ٥صـ ٤٣١ حديث ٣٣٨١.
(٦) سورة الأنبياء الآية ٨٧.

الظالمين) [١].

وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: ما سمعت رسول الله ﷺ يدعو إلا استفتح الدعاء بقول سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب)[٢]. قال ﷺ: "إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه، ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليدع بعد بما شاء) [٣].

٢ ــ أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى: ﴿وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [٤]، وقال ﷺ: "ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل: من يدعوني فاستجيب له،ومن يسألني فأعطيه، من يستغفرني فاغفر له)[٥].

٣ ــ الإلحاح في الدعاء وتكراره قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:"كان ﷺ إذا دعا دعا ثلاثًا وإذا سأل سأل ثلاثًا) [٦].

٤ ــ أن يدعو وهو مستقبل القبلة ويرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس)[٧]. وعن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه في الدعاء ولا يشير بأصبعيه)[٨].

٥ ــ خفض الصوت بأن يكون بين المخافتة والجهر، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قدمنا مع رسول الله ﷺ فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس

(١) الترمذي أبواب الدعوات باب ٨٢ جـ٥صـ ٤٩٥.
(٢) مسند الإمام حمد جـ٤صـ ٥٤.
(٣) سنن الترمذي أبواب الدعوات باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ حديث ٣٤٧٧ جـ٥صـ ٥١٧،وقال الترمذي الحديث حسن صحيح.
(٤) سورة الذاريات الآية ١٨.
(٥) مسلم كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في الدعاء والذكر جـ١صـ ٥٢١.
(٦) مسلم كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين جـ٣صـ ١٤١٨.
(٧) مسلم كتاب الحج باب حجة النبى ﷺ حديث ١٢١٨ جـ٢صـ ٨٩٠.
(٨) مسلم كتاب الاستسقاء باب رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء جـ٢صـ٦١٢.

ورفعوا أصواتهم فقال النبيﷺ: "يا أيها الناس إن الذين تدعون ليس بأصم ولا غائبًا إن الذي تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم)[1].

٦ ــ أن يترصد لدعائه الأحوال الشريفة: كوقت زحف الصفوف، قال أبو هريرة رضي الله عنه: "إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله،وعند نزول الغيث وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها)[2].

(١) مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب استحباب خفض الصوت جـ٤صـ ٢٠٧٦.

(٢) الفتوحات الربانية للدكتور الحسيني أبو فرحة رحمة الله تعالى عليه جـ٢صـ ٣٨ الطبعة الثالثة ١٩٨٣.

جزاء عباد الرحمن كما ورد في سورتي المؤمنون والفرقان

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [1]. بدأت سورة المؤمنون ببشارة من الله تعالى بالفوز والفلاح للمؤمنين المتصفين بالصفات المذكورة من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [2].

وجاء في معنى الآية الكريمة: قد حرف تأكيد وقال المحققون معنى قد: تقريب الماضي من الحال، فدل على أن فلاحهم قد حصل وهم عليه في الحال،وقد نقيضة (لما) و(قد) تثبت المتوقع و(لما) تنفيه، ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه)[3].

وفي المراد بالفلاح عدة أوجه منها:

١ ــ النجاح والبقاء.

٢ ــ معناه: قد سعد ومنه قول لبيد:

فاعقلي إن كنت لم تعقلي ** إنما أفلح من كان عقل

٣ ــ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: المفلحون الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا من شر ما منه هربوا.

٤ ــ قيل البقاء في الخير وهو بقاؤهم في الجنة وقيل بقيت لهم أعمالهم،وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:كان النبيﷺ إذا نزل عليه القرآن يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل فنزل عليه يومًا فلما سرى عنه استقبل القبلة ورفع يديه ثم قال: اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا،وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا،وأرضنا وأرض عنا ثم قال ﷺ لقد أنزل عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ علينا قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر، وروي أبو عمران الجوني

(١) سورة المؤمنون الآية ١.

(٢) سورة المؤمنون الآية ١١.

(٣) تفسير الكشاف للزمخشري جـ٣صـ١٧٤، وتفسير الثعلبي جـ٧صـ٣٧.

قال: قيل لعائشة رضي الله عنها: ما كان خلق رسول الله ﷺ ؟ قالت أتقرأون سورة المؤمنون ؟ قيل نعم قالت:أقرأوا فقرئ عليها ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى بلغ ﴿يُحَافِظُونَ﴾ فقالت هكذا كان خلق رسول الله ﷺ) [1] وبعد البشارة من الله عز وجل بفلاح عباد الرحمن، والفوز بما تمنوه يخبرنا المولى عز وجل عن جزاء آخر وهو أن أولئك المتصفين بهذه الصفات السابقة وهي صفات أوصلتهم إلى درجة الكمال والجمال في أعمالهم وأفعالهم وأقوالهم قد استحقوا بما ذكر من الصفات أن يرثوا الفردوس الأعلى.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ*الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [2] أولئك أهل هذه الصفات الحميدة الكريمة هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل الجنة من الجنة،وقيل في معنى الوراثة هنا: هو أنه يؤول أمرهم إلى الجنة وينالونها كما يؤول أمر الميراث إلى الوارث.وفي معنى الفردوس أوجه:

١ ــ أنه اسم من أسماء الجنة قاله الحسن.

٢ ــ أنه أعلى الجنان قاله قطرب.

٣ ــ أنه جبل الجنة الذي تتفجر منه أنهار الجنة قاله أبو هريرة رضى الله عنه.

٤ ــ أنه البستان وهو رومي معرب قاله الزجاج.

٥ ــ هو البستان الواسع الجامع لأصناف الثمر)[3].

وذكر الألوسي في معنى الآية " أولئك" إشارة إلى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وإيثارها على الإضمار للإشعار بامتيازهم بها عن غيرهم ونزلهم منزلة المشار إليهم حسًا،وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف)[4].

(١) تفسير النكت والعيون للماوردي جـ٤صـ ٤٤.
(٢) سورة المؤمنون الآيتان ١٠ ــ ١١.
(٣) تفسير الماوردي جـ٤صـ ٤٤.
(٤) روح المعاني جـ٦صـ ١٣.

أخرج البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال: "إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة)[1].

وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبيﷺ فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب،فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء، قال يا أم حارثة إنها جنات من الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى)[2]. فنعيمًا لأهل الفردوس الأعلى، عباد الرحمن الذين صدقوا الله تعالى ورسوله محمدًا ﷺ وأقروا بما جاءهم به من عند الله عز وجل وعملوا بما دعاهم إليه فاستحقوا بفضل الله وكرمه أن يسكنوا الفردوس الأعلى وأن يرثوها ويخلدوا فيها يقول المولى عز وجل: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [3]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [4].

وفي بيان لجزاء آخر لعباد الرحمن عطاءً من الله عز وجل يقول المولى عز وجل: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا *خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾[5] أولئك إشارة إلى عباد الرحمن الذين اتصفوا بالصفات الجميلة والأقوال والأفعال الجليلة،يخبرنا عنهم ربهم أن هؤلاء أعد الله تعالى لهم يوم القيامة الجنة جزاءً لما صبروا عليه في الحياة الدنيا من صبر على الطاعات وصبر عن شهوات النفس ومغريات الحياة وعطاء من الله عز وجل أن منَّ عليهم بأن أسكنهم في أعلى الجنان ويستقبلون في الغرف بالتحية والسلام جزاء ما صبروا عليه وجاء في معنى الآية الكريمة: "أن أولئك المتصفين بهذه الصفات السابقة يجزون يوم القيامة الغرفة وهي الجنة سميت بذلك لارتفاعها ويلقون التوقير

(١) البخاري كتاب الجهاد باب درجات المجاهدين في سبيل الله جـ٢صـ١٣٦.
(٢) البخاري كتاب الجهاد باب من آتاه سهم غرب فقتله جـ٢صـ ١٣٩.
(٣) سورة مريم الآية ٦٣.
(٤) سورة الزخرف الآية ٧٢.
(٥) سورة الفرقان الآيتان ٧٥، ٧٦.

والاحترام فلهم السلام قال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[1] وهم (خالدون فيها) أي مقيمون فيها لا يحولون ولا يموتون يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾[2].

وقيل: إن التحية لهم تكون من الله عز وجل والسلام من الملائكة وقيل: إن التحية والسلام من الله عز وجل قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[3].

والمراد من الآيات بيان أن عباد الرحمن يكرمهم ربهم بالتحية والسلام والتعظيم، ولهم النعيم الدائم، فنعم المقام ونعم المستقر الحسن الجميل جزاء من الله عز وجل الكريم العظيم لعباده المؤمنين الموحدين عباد الرحمن.

(١) سورة الرعد آية ٣٢، ٢٤.
(٢) سورة هود آية ١٠٨.
(٣) سورة يس آية ٥٨.

الخاتمة

الحمد لله لا يأتى بالحسنات إلا هو، ولا يجيب الدعوات ويقيل العثرات، ويغفر الخطيئات، ويستر العورات، ويكشف الكربات سواه عز وجل.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبين وعلى آله الطيبين صلاة تنجينا بركاتها يوم الدين، وعلى صحبه والتابعين وكل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد..

فقد عرضت ما تضمنته الآيات الكريمة من ملامح من صفات المؤمنين كما وردت فى سورتى المؤمنون والفرقان وبعرض صفات عباد الرحمن يتبين لنا أنهم ما نالوا هذه المكانة العالية والقرب من الله عز وجل إلا بعد مجاهدة النفس وترويضها لكل ما هو خير وطاعة لله عز وجل، فالوصول إلى هذه الصفات الحميدة الكاملة ليس بالأمر السهل ولكن بالمجاهدة والصبر وحب الله عز وجل وابتغاء مرضاته وحب رسوله سيدنا محمد ﷺ واتباعه تنال هذه الصفات الكريمة. ويتبين لنا أن التحلى بهذه الصفات الكريمة نفعها لا يعود فقط على صاحبها وإنما يعود على المجتمع بأسره، فالمجتمع الذى يكون أصحابه من المحافظين على الصلاة الخاشعين لله عز وجل الموحدين لله عز وجل، المتواضعين الأطهار البعيدين عن المعاصى كالزنا والكبر والكذب وشهادة الزور... وغيرها، هذا المجتمع يعمه البركة والخير، وهذا الخير الدنيوى بجانب ما أعطاهم الله عز وجل من الخير والدرجات العلى والفردوس الأعلى فى الجنة والمجتمع الذى يعم الإيمان أصحابه مجتمع يخرج بأصحابه من ظلمات فتنة الحياة إلى نور الله عز وجل، وأصحاب هذه الصفات الكاملة نراهم دائمًا "على حال طيب طيبة نفوسهم مطمئنة بربهم ساكنة إليه إن أصابهم سراء شكروا فسعدوا وإن أصابتهم ضراء ومكروه صبروا "[1] يقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ

(١) أ. د / حسن أحمد جبر الأستاذ بقسم التفسير كلية أصول الدين بنين.

حَيَـاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُـم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [1] ويقول المولى عز وجل ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [2] فهم لهم الأمن فى الآخرة وهم مهتدون فى الدنيا، فما أعظمه من عطاء من الخـالق الكريم لعبادة المؤمنين، اللهم اجعلنا منهم بكرمك وجودك يا رب العالمين، إنك على كل شىء قدير.

وأخيرًا، فإن عمل الإنسان لا يخلو من النقص، فما كان فى هـذا البحـث مـن توفيق فمن الله عز وجل، وما كان من خطأ أو زلل أو نسيان فمنى وأدعو الله عـز وجل بالمغفرة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على عباده المرسلين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) سورة النحل الآية ٩٧.

(٢) سورة الأنعام الآية ٨٢.

المراجـــع

١ ــ القرآن الكريم.

٢ ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

٣ ــ تفسير الإمام الطبرى.

٤ ــ الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ــ طبعة دار إحياء التـراث العربـى ــ بيروت.

٥ ــ روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم للألوسى ــ طبعة دار الفكر.

٦ ــ الكشاف للزمخشرى ــ طبعة شركة ومكتبة مصطفى البابى الحلبى.

٧ ــ تفسير ابن كثير ــ طبعة دار الشعب.

٨ ــ تفسير فى ظلال القرآن لسيد قطب ــ طبعة دار الشروق.

٩ــ التفسير الكبير للفخر الرازى ــ طبعة دار إحياء التراث العربى.

١٠ ــ تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الظاهر ابـن عاشـور ــ طبعـة سحنون للنشر والتوزيع ــ تونس.

١١ ــ التفسير المنير للدكتور / وهبه الزحيلى ــ طبعة دار الفكر المعاصر ــ بيروت ــ دار الفكر دمشق.

١٢ ــ أيسر التفاسير لأبى بكر جابر الجزائرى ــ مكتبـة العلـوم والحكـم ــ المدينة المنورة.

١٣ ــ تفسير القرآن الكريم للدكتور عبـد الله شـحاته ــ طبعـة دار غريـب للطباعة والنشر.

١٤ ــ تفسير أحكام القرآن لابن العربى ــ طبعة دار الفكر.

١٥ ــ صحيح الإمام البخارى ــ طبعة دار الفكر.

١٦ ــ المستدرك للحاكم ــ طبعة دار الكتب العلمية.

١٧ ــ سنن النسائى ــ طبعة دار البشائر الإسلامية.

١٨ ــ السنن الكبرى للبيهقى ــ طبعة دار الباز ــ مكة المكرمة.

١٩ ــ سنن ابن ماجه ــ طبعة دار إحياء الكتب العربية.

٢٠ ــ مسند الإمام أحمد بن حنبل ــ طبعة دار صادر بيروت وطبعة المكتب الإسلامى.

٢١ ــ فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ــ طبعة دار الريان.

٢٢ ــ صحيح الإمام مسلم ــ طبعة دار إحياء الكتب العربية.

٢٣ ــ سنن الترمذى ــ طبعة دار الكتب العلمية.

٢٤ ــ مجمع الزوائد للحافظ نور الدين الهيثمى ــ طبعة دار الريان للتراث.

٢٥ ــ سنن الدارقطنى ــ طبعة دار المعرفة ــ بيروت.

٢٦ ــ صحيح سنن الترمذى للألبانى ــ تحقيق زهير الشاويش ــ طبعة مكتبة التربية العربية لدول الخليج.

٢٧ــ الأحاديث المختارة لمحمد بن عبد الواحد الحنبلى المقدسى ــ طبعة مكتبة النهضة الحديثة ــ مكة.

٢٨ ــ نوادر الأصول فى أحاديث الرسول ﷺ للحكيم الترمذى ــ طبعة دار الجبل ــ بيروت.

٢٩ ــ سنن أبى داود ــ طبعة دار الفكر ــ بيروت.

٣٠ ــ السلسلة الصحيحة للألبانى ــ طبعة مكتبة المعارف ــ الرياض.

٣١ ــ أسباب النزول للواحدى ــ طبعة المكتبة الثقافية ــ بيروت.

٣٢ ــ إحياء علوم الدين للإمام الغزالى.

٣٣ ــ لسان العرب لابن منظور ــ طبعة دار المعارف.

٣٤ ــ أضواء على التربية الإسلامية ــ ط. أولى.

٣٥ ــ خلق المسلم للغزالى ــ طبعة دار الكتب الإسلامية.

٣٦ ــ العبادة أحكام وأسرار للإمام عبد الحليم محمود ــ طبعة دار الشعب.

٣٧ ــ خشوع الإيمان للأستاذ على أبو المعاطى ــ طبعة دار البشير ــ

القاهرة.

٣٨ ــ شخصية المسلم كما يصورها القرآن د / مصطفى عبد الواحد ــ مكتبة المتنبى ــ ط. الرابعة.

٣٩ ــ الطمأنينة والإعتدال فى أركان الصلاة لابن تيمية ــ طبعة المكتب الإسلامى.

٤٠ ــ فقه السنة للسيد سابق ــ طبعة دار الحديث ــ دار الكتاب الإسلامى.

فهرس المحتويات

مقدمة ١٩٧
صفات عباد الرحمن كمـــا وردت فى سورتى " المؤمنون والفرقان " ١٩٩
الموضوعات الرئيسية فى سورة المؤمنون ١٩٩
الموضوعات الرئيسية فى سورة الفرقان ٢٠٠
الصفة الأولى: الخشوع فى الصلاة والمحافظة عليها وقيام النيل بالصلاة..... ٢٠١
الصفة الثانية: اجتناب اللغو ٢١٠
الصفة الثالثة: أداء الزكاة والإنفاق بالإعتدال وعدم البخل ٢١٤
الصفة الرابعة: حفظ الفرج والتعفف عن الحرام ٢٢٢
الصفة الخامسة: أداء الأمانة ورعاية العهد والصدق فى القول ٢٢٤
الصفة السادسة: يجمعون بين الخوف والرجاء من الله تعالى ٢٣٨
الصفة السابعة: التواضع وعـــدم الكبر والتسامح ٢٤٦
الصفة الثامنة: لا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ٢٥٢
الصفة التاسعة: الابتهال إلى الله عز وجل بطلب صلاح الزوج والذرية ٢٥٤
جزاء عباد الرحمن كما ورد فى سورتى المؤمنون والفرقان ٢٦١
الخاتمة ٢٦٥
المراجع ٢٦٧
فهرس الموضوعات ٢٧٠

فهرس قسم التفسير

الموضوع — الصفحة

١- الصحبة وآدابها في ضوء القرآن الكريم ٩-١٠٨
٢- شبهات حول الوحي (افتراءات وردود) ١٠٩-١٩٤
٣- صفات عباد الرحمن في سورتي المؤمنون والفرقان ١٩٥-٢٧٠

* * *